وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2 ،أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

مطبوعة دروس في مقياس النهضة الأوربية

Printed lessons in scale European Renaissance

من إعداد الأستاذة :

كربال زكية

مستوى:

السنة الثانية ليسانس ل. م . د

السداسي الرابع

الموسم الجامعي:

2024.2023

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Algiers 2, Abu Al-Qasim Saadallah

Faculty of Humanities

Department of History

Printed lessons in scale European Renaissance

level:

Second year of Bachelor's degree.

Fourth hexagram

Prepared by Professor:

Dr. Karbal Zakia

University season:

2023-2024

فهرس الدروس

محتوى المادة:

1- الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة
2- تعريف النهضة وعوامل قيامها
3- النهضة الأدبية الفنية – الفكرية والعلمية – الاقتصادية
4-نتائجها و خصائصها
5-الحركة الإنسانية والإصلاح الديني

المحاضرة رقم 01:

الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة

الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة:

كانت أوروبا مع أواخر القرن 15م، كما في العصر الوسيط، مقسّمة إلى ثلاث كتل وهي: أوروبا الغربية والوسطى، أوروبا الشرقية وكذلك الجزء الأوروبي الذي كان في قبضة العثمانيين.

وكانت شبه الجزيرة الإيطالية تتكون أساسا من مدن –دولة صغيرة Cités–Etats، وهذا على الرغم من أن بعضا من بين هذه الكيانات اضطرت للخضوع لواحدة من القوى المذكورة أعلاه، في حين احتفظت أخرى وتمكت بشدّة باستقلالها.

وحتى داخل الممتلكات أو المناطق التابعة للبابوية، فإن القوى الداخلية بها قد ضربت بعرض الحائط النظام الذي فرضته البابوية، على سبيل المثال: عائلة منتفلترو Montefeltro في منطقة أربينو Urbino والتي أنجبت عددا من رعاة النهضة الإيطالية. نفس السياسة الاستقلالية تمتع بها آل ملاتستا Malatesta في رميني Rimini.

في هذا السياق، فإن كيانين بقي حتى الفترة المعاصرة متمسكان وبقوة بالحرية، أما الأوّل فهي الجمهورية الجبلية الصغيرة واسمها القديس مارين Saint–Marin، وهي قلعة صخرية صعبة، كانت في فترة من تاريخها داخل أراضي الكنيسة. في حين أن الكيان الثاني، فإنها إمارة موناكو Monaco، وهي محاطة بأراضي سافوا Savoie مملكة نابولي كانت، نظريا، اقطاعا بابويا وكان لهذا الوضع نتائج إيجابية، ذلك أن

الباباوات كانوا يمارسون حقوقهم الشرعية وذلك بتعيين مرّشحيهم لتولي التاج. في حين أن أدواق ميلانو فإنهم حصلوا على ألقابهم بفضل امتياز إمبراطوري.

الأراضي البابوية:

حتى إن كان الحكام الإيطاليين يتوقون دائما للألقاب الرنانة التي كان يمنحها إياهم إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدّسة، لكن حكم هذا الأخير قد انتهى منذ زمن بعيد في إيطاليا، وهذا الوضع الأخير راجع إلى معارضة الإمبراطورية، الشديدة للسلطة البابوية.

في الواقع، فإن زعيم الكنيسة، بمعنى البابا، قد دفع غاليا جدّا ذلك الانتصار الذي حققه على الحكم الزمني. في نفس الوقت، فإن قوّة البابا قد تم اضعافها. كما تراجع تأثيره الروحي وذلك بسبب التدخل المتزايد في المسائل السياسية، وهذا الضعف الطويل والذي تم ببطئ قد تجسّد ميدانيا في الفترة التي سميت بالمرحلة الأفنيونية Avignonnaise (1309-1378م) والتي انتهت بالانشقاق العظيم. في الواقع، لم يجد انشقاق أفنيون حلاّ له إلاّ بفضل مجمع كونستانس الذي دعا إليه الإمبراطور سجسموند Sigismond.

فلورانسا: Florence

كانت فلورانسا خلال القرن 15م تتمتع بالاستقلال. لقد تمكّن القائمين على شؤونها من التصدّي لهجوم دوق ميلانو واسمه حنا جالياس فسكونتي Jean Galéas Visconti الذي كان حاكما قوّيا وطموحا آنذاك.

إن أهالي فلورانسا أبدوا حرصا شديدا على المحافظة والدفاع عن استقلالهم، ولعل ما زاد هذه الجمهورية رفعة وقوّة هو ضم المدينة الساحلية التي تسمّى بيزا Pise إلى تاج فلورانسا وذلك بعد حرب دامية دامت من 1496 إلى 1509م. لكن بعد فترة قصيرة من الزمن، تقلصت بعض الحريات التي كان يتمتع بها الفلورانسيين وذلك بسبب بروز أسرة المديشي Médicis على الساحة. في هذا السياق حمل الممثل الأوّل لهذه الأسرة واسمه كوزم الأوّل Cosme I^{er} لقب "أب الوطن"، حتى وإن لم يشغل هذا الشخص سلطة سياسية فعلية في فلورانسا، فإنه استغل الثروة الطائلة والمكانة المرموقة لأسرته وهذا من أجل ممارسة تأثيره على المؤسسات الجمهورية.

إن صعود هذه الأسرة –المديشي– يعد حقا المرحلة الأخيرة في صراع طويل ومرير للأسر النافذة النصف الأرستقراطية والتي كانت قوّتها مبنية على شركاتها التجارية. سنة 1434م، فإن كوزم المديشي، الذي عاد من المنفى بعد غياب دام اثني عشر شهرا، وهذه العودة كانت بدعم من الشعب، قام عقب ذلك بطرد الأسرة المنافسة للمديشي واسمها ألبيزي Albizzi. الملاحظ أنه انتهج في هذا الصراع سياسة حكيمة تمثلت في تخفيف عبئ الضريبة على العائد والتي تسمى كاستاتو Castato، وهو ما كان له وقع ايجابي على الطبقات الفقيرة، ووقع ثقلها وقع كلية على الأسرة الثرية المعادية للمديشي. لكن الحقيقة، فإن السلاح الفعّال الذي أدى إلى نجاح كوزم والذي يعد في آن واحد صانع مجد الأسرة، هو بنك العائلة.

النظام البنكي للمديشي:

خلال فترة المديشي، كانت فلورانسا مركز للنظام البنكي في كامل أوروبا. ولهذه المؤسسة المالية فروع في كامل ميلانو، نابولي، بيزا، البندقية، جنيف Genève، ليون

Lyon، أفنيون، وكلتا المدينتان تقعا في فرنسا. وبلغ تأثير البنك حتى وسط أوروبا، وكذلك الشمال وبالخصوص في بروج Bruges ولندن. ومن المنظور القانوني، كل فرع من هذا البنك هو مستقل عن البنك المركزي أو –الأم– إلى حد أن المسؤول الذي يسّير هذا الفرع المستقل لا يتوقع أن يسدد البنك المركزي الديون الواقعة عليه.

لعبت هذه المؤسسة المالية للمديشي دورا هاما في التجارة الأوربية وكذلك بنقل الأموال. وخلال الجزء الكبير من القرن 15م، فإن المديشي قد لعبوا دورا رائدا باعتبارهم المصرفيين لدى الباباوات، وإن أهمية العمليات التي كان المديشي يقومون بها قد أدت إلى فتح فروع مؤقتة في كل من كونستانس وبال Bâle خلال فترة انعقاد المجمعين بهما. من هذا المنطلق اعتبر الجميع بأن فترة كوزم كانت عصرا ذهبيا لفورانسا.

أما لوران Laurent le magnifique فإنه كان مدركا بأهمية الحفاظ على الشعبية وسط المواطنين، وفي نفس الوقت الابقاء على الروابط المتينة م باقي الأسر القوّية في مدينة فلورانسا. وفي هذا السياق عقد العديد من الزواجات بين المديشي والأسر النافذة في المنطقة منها أعداء الأمس روشيلي Rucellai وبازي Pazzi.

المديشي والنهضة:

خلال أواخر العصر الوسيط فإن بلاطات الملوك، الأمراء والكنيسة أيضا كانت أبرز المراكز التي رعت الآداب والفنون الجميلة.

بحلول القرن 15م، برزت في إيطاليا العديد من البلاطات الأرستقراطية. أمّا بلاط نابولي فإنه كان منذ القرن 15م أحد أبرز المراكز الثقافية في أوروبا، وفي فترة القرن 15م أصبح البلاط البابوي مركزا للثقافة أيضا.

أوروبا الغربية والوسطى:

عناصر الوحدة: إن ما يجلب الانتباه حقا أنه من المحيط الأطلسي حتى الحدود الشرقية لبولونيا، ومن شبه جزيرة إسكندنافية حتى البحر المتوسط، فإن المذهب الكاثوليكي الروماني هو الذي كان سائدا واللّغة اللاتينية التي كانت تستعملها الكنيسة هي لغة العالم المثقف. حتى وإن شهدت في هذه الفترة، تطوّر الأدب باللّغة الوطنية المحلية (دانتي Dante وبترارك Pétrarque في إيطاليا، فيون Villon وCommynes في فرنسا، شوسر Chaucer في إنجلترا)، لكن الدروس التي كانت تلقى في الجامعات كانت باللّغة اللاتينية، كما أن هذه الأداة اللّغوية الراقية قد استعملها رجال الدين في مراسلاتهم وكذا كتاباتهم المختلفة التي نشروها.

وفي جميع الدول تقريبا، فإن نمط العيش متشابها تقريبا. شكّل الفلاحون أغلبية السكان، وأما الأدوات المستعملة في هذا المجال فكانت بسيطة، أما المسكن فكان يختلف من مكان لآخر حسب طبيعة الأرض وكذا المناخ، لكن يغلب عليها طابع البساطة أيضا. اللافت للانتباه أن التغيرات المناخية كانت غالبا ما تسبب في ظاهرة المجاعة.

وفي المدن الألمانية، الإنجليزية، الفرنسية والإيطالية أيضا فإن الحرفيين والبورجوازيين كانوا يعيشون على نفس النمط تقريبا. وبدأت تظهر في مختلف هذه المواقع، طبقة أرستقراطية متكوّنة من كبار التجار والتي كانت أهميتها في تزايد مستمر.

في نفس الوقت، فإن الروابط التجارية قد ساهمت في توحيد مختلف الشعوب. وعلى الرغم من الصعوبات والأخطار، فإن النقل البحري، النقل النهري والنقل البري قد سمحت كلّها في تبادل السلع المختلفة. في هذا المجال، لعبت كل من ألمانيا وإيطاليا دورا

رائدا، لكن تفكهها، إضافة إلى الخلافات الداخلية التي كانت تعاني منها، قد منعهما من أن تلعبا دورا سياسيا رائدا.

في ألمانيا، فإن العصبة الهانسية La Hanse، التي تضم جمهوريات بورجوازية قوّية وهي: لوبك Lubeck، هومبورج Hambourg، بريم Brême، فرانكفورت Francfort وكولونيا Cologne، قد سيطرت على تجارة بحر الشمال والبلطيق، وتملك هذه العصبة أيضا في لندن، بروج Bruges وحتى في النرويج.

أما في إيطاليا، فإن البندقية وجنوة كانتا تتنافسان وبشدّة على الريادة في البحر المتوسط. في حين أن فلورانسا وميلانو، فتعدان مراكز صناعية رائدة. في هذه الفترة أيضا فإن التجارة التي تعتمد على المال –البنوك– أخذت تقطع أشواطا كبيرة.

ولفترة قرن من الزمن، فإن المهندسين المعماريين، الرسّامين والنحاتين قد أبدعوا بأناملهم وقد ذاع صيتهم في كامل أوروبا وبلغت حتى موسكو.

وخلال فترة العصر الوسيط فإن قوتين هما: الإمبراطورية والبابوية قد سعتا إلى بناء ملكية عالمية، تتفوّق على كل أشكال الحكومات الأخرى. لكن مع أواخر القرن 15م، فإن هذين الكيانين، قد تنازلت عن هذه الطموحات "الخيالية".

بمقتضى "المرسوم الذهبي" الصادر سنة 1356م، تم انتخاب الإمبراطور من طرف سبعة ناخبين، وهما الأمراء الأقوى في ألمانيا وهم: مطارنة ماينس Mayence، تريف Trêves، كولونيا Cologne، ملك بوهيميا، دوق ساكسونيا Saxe، مارجراف براندبورج Brandebourg وكونت بلاطي في منطقة الراين Rhin. من هذا المنطلق، فإن سلطته مقيّدة، ذلك أن الأمر يستوجب عليه التوقيع على التزامات والتي تحدّد بالفعل من سلطته.

ممّا لا شك فيه، أنه ومنذ سنة 1438م، فإن السلطة الإمبراطورية بقيت في أسرة هابسبورغ Habsbourg. لكن سلطتهم لم تكن تتعدى أراضيهم الخاصة، أمّا باقي ألمانيا، فإنه كان مقسّم بين عدد كبير من الدول الصغيرة مستقلة إلى حد كبير.

أما إيطاليا، التي نظريا، كانت جزءا من الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدّسة، فإنها ومنذ فترة طويلة قد خرجت عن السلطة الإمبراطورية.

الأوربيون خارج أوروبا:

منذ الحروب الصليبية، احتل البحر المتوسط مكانة رائدة ذلك بأنه يعد مركزا هاما للمبادلات التجارية. تميّز الجنويون والبنادقة عن غيرهم بامتلاك أساطيل بحرية، وقد مارس هؤلاء نشاط مكثّف مع المسلمين في مصر وكذلك في المغرب إضافة إلى أصقاع أخرى.

ولم يكن عالم الصين مجهولا عن أوروبا أيضا. فخلال القرن 13م، قام الرحالة ماركو بولو Marco Polo وأصله من البندقية بوصف خيرات هذه البلاد في كتابه "كتاب العجائب" Livre des Merveilles ، وهو يعد في الحقيقة شاهدا على الأحداث التي أوردها باعتباره أقام هناك فترة طويلة. منذ أن تخلصت الصين من نير المغول، فإنها في عهد منج Ming تقوقعت على نفسها.

من جهتها، فإن الهند التي دخلها المسلمون، شهدت انقساما إلى عدّة دول منافسة.

تمتعت آسيا بثقل اقتصادي فريد. وعلى الرغم من الاضطراب الناشئ عن العلاقات التجارية المباشرة التي كانت قائمة بين الشرق الأقصى وأوروبا، فإن الأمر قد تضرر وبشكل لافت بسبب الزحف العثماني. لكن ذلك النشاط لم ينته بالكامل. من ذلك أن قوافل

كانت تحمل عبر أسيا الحرير التي كانت تجلب من الصين، سجاد الفرس أو تركستان وهذه السلع كانت تبلغ المناطق الواقعة حول ضفاف البحر الأسود وبحر آزوف.

أما التوابل التي كانت تجلب من الهند (الفلفل الأسود، القرفة) المطلوبة كثيرا خلال العصر الوسيط، فإن التجار المختصين بها كانوا يسلكون الطريق البحري من أجل الوصول إلى خليج عمان أو البحر الأحمر. وفي هذا المجال لعبت مصر دورا هاما كوسيط مما عاد عليها بفوائد جمّة، ومن المدن المصرية الشهيرة، الإسكندرية، حيث أصبحت سوقا هامة تردد عليها تجار من مختلف الجنسيات منهم البنادقة.

ظهور الأمم الحديثة:

اللافت للانتباه أن القرن الخامس عشر الميلادي شهد حدثا سياسيا بالغ الأهمية تمثّل في بروز كيانات سياسية قوّية في الساحة الأوروبية، هذه الدول الجديدة أصبحت تخضع لحاكم قوّي يملك بين يديه مصادر مالية وعسكرة معتبرة.

أما في فرنسا، وعقب حرب المائة سنة التي أنهكت قوى المملكة على مختلف الأصعدة، فإن شارل السابع Charles VII أعاد إقرار سيادته في كامل البلاد.

وضمن نفس السياسة تندرج اسهامات ابنه، لويس الحادي عشر Louis XI في الحرب الشرسة التي شنها على الاقطاع وذلك بانتصاره الساحق على العائلة الحاكمة في بورغونيا Bourgogne، وهو الأمر الذي مكّنه من اقرار النظام الملكي وضم للتاج الملكي مناطق هامة وهي: بورغونيا، كونتيتا –Comtés– وهما أوكسير Auxerre وماسون Macon، بيكاردي Picardie، ماين Maine، أنجو Anjou وبروفانس Provence.

ومن جهته، فإن شارل الثامن Charles VIII، الذي تزوّج سنة 1491م من آنا Anne وهي دوقة –Duchesse– منطقة بريتاني Bretagne فإن ذلك الأمر قد ساعد على تهيئة الوضع لضم هذه المقاطعة للتاج الفرنسي، ليبدو شارل ملكا قوّيا.

أما الحديث عن الوضع في إنجلترا، فإنه يجرّنا إلى القول بأن الحرب الأهلية الدامية التي سميت "حرب الوردتين"، قد انتهت سنة 1485م، عقب ذلك تولى هنري السابع تدور Henri VII Tudor العرش، يعدّ وريثا لأسرة لنكاستر Lancastre، تزوج من إليزابيت Elisabeth وهي من منطقة يورك York، وبذلك عمل على التقريب بين الأسرتين المتخاصمتين. إنه أعاد تثبيت السلطة الملكية، وذلك بخلق الغرفة، وإن المحكمة لم تكن تخضع إلاّ لهذا الجهاز. عمل هذا الملك على التقليل من استدعاء البرلمان، شجع التجارة والصناعة، كما فرض سيادته على إيرلندا.

طبقة النبلاء التي أنهكت قدراتها في الحروب المختلفة، قد فقدت الكثير من تأثيرها السياسي في المجتمع الإنجليزي، ولكنها سعت وبكل هوادة أن تعوّض الخسائر المالية التي تكبّدتها وذلك عن طريق كراء أراضيها لمزارعين كبار أو بتطوير تربية المواشي بها.

وفي إسبانيا، فإن زواج إيزابيلا Isabelle من قشتالة Castille مع فرديناند Ferdinand من أراجونة Argon قد مهّد الطريق لتوحيد شبه جزيرة إيبريا. سنة 1492م حطّم الملوك الكاثوليك الدولة الإسلامية في غرناطة وطردوا بشكل نهائي المسلمين من هناك. سنة 1512م، انتزعوا من عائلة ألبرت Albert الجزء الجنوبي من منطقة نافار Navarre.

أما في جنوب البرانس Pyrénées، فإن البرتغال قد خرجت عن سيادتهم. وجاءت محاكم التفتيش المعروفة باسم Inquisition فإنها سمحت للإسبان بتحطيم كل أعدائهم.

كما أن زواج وريثة العرش واسمها جان المجنونة Jeanne le folle بفيليب الوسيط Philippe le Beau سنة 1496م وهو ابن الإمبراطور ماكسيمليان Maximilien وماريا من بورغونيا Bourgogne قد مهّد الطرق لشارل الخامس Charles Quint، الذي يعدّ من الشخصيات البارزة في أوروبا خلال العصر الحديث.

المحاضرة رقم 02

تعريف النهضة وعوامل قيامها

1-تعريف النهضة:

استعمل مصطلح النهضة Renaissance للدلالة على معاني مختلفة:

1- أطلقت هذه التسمية بالنسبة لأوروبا، على الفترة التي يشّكلها القرنان 15 و 16م.
2- وخلال هذه الفترة التاريخية شهدت أوروبا حركة غير مسبوقة في جوانب مختلفة بالخصوص: الآداب، الفكر والفن. وللنهضة بشكلها العام هي حركة ثقافية واسعة، بدأت في مدينة فلورانسا Florence الإيطالية، منذ القرن الرابع عشر الميلادي، لتنتشر بعدها في مختلف أرجاء أوروبا.

استخدمت كلمة نهضة "Renaissance" لأوّل مرّة عام 1855م من طرف المؤرخ الفرنسي جول ميشلي Jules Michelet. والكلمة بشكلها الإيطالي Rinascità، فإنها ترجع إلى عام 1550م، وقد استخدمها جيورجيو فساري Giorgio Vasari الذي يعد هو نفسه فنانا ومتخصصا في تاريخ الفن الإيطالي.

وخلال القرن التاسع عشر الميلادي، أصبح لكلمة "نهضة" معنا أوسع، فحسب ميشلي فإنها تعني "اكتشاف العالم، اكتشاف الإنسان". وفي عام 1860م، قام مؤرخ الفن السويسري المعروف باسم يعقوب بوركهارد Yacob Burckhardt بدراسة حركة النهضة في سياقها العام.

ومن خلال صفحات كتابه المعروف باسم La Civilisation de la Renaissance en Italie "حضارة النهضة في إيطاليا"، فإنه بيّن فيه أن حدث في إيطاليا لأوّل مرّة أن تبلورت فكرة "الفردية" l'individualisme. وبالنسبة لهذا المؤرخ السويسري فإن "النهضة" تتميّز بكونها "ظاهرة معزولة".

لكن، هناك عدد من مؤرخي القرن التاسع عشر الميلادي الذين عملوا جاهدين للربط بين مختلف الأحداث وكذلك الحركات التي شهدتها أوروبا في الفترة الحديثة. وتبيّن، عندما درس العلماء بشكل معمّق فترة العصور الوسطى، أن الثقافة خلال هذه الحقبة الهامة من التاريخ الأوروبي، لم تختف بسقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام 476م، بل عرفت أوروبا نهضات مختلفة بالخصوص في عهد الإمبراطور شارلمان 800-814م، وكذلك، خلال القرن 12م

جدير القول، أن العلماء يجمعون للقول أن النهضة هي بالأساس "ثورة الفكر"، بدأت في إيطاليا خلال القرن 14م.

إن ما يميز هذه "الثورة" هو العمل الدؤوب الذي كان الهدف منه، صياغة برنامج تربوي مهمّته تحضير شريحة الشبان للمساهمة بشكل فعّال في خدمة المنظومة العامة. وكانت الوسيلة التعليمية المستخدمة تكمن في لغّة لاتينية تمّت تنقيتها من الشوائب المختلفة التي علقت بها خلال الحقبة البربرية التي مرّت بها أوروبا. ومن الأهمية بمكان القول أن، ذلك العمل لم يكن ليأتي بثماره لو لم يتم الرجوع إلى فطاحل كتاب الحقبة الوثنية الذين استخدموا في كتاباتهم لغة لاتينية راقية.

2-عوامل قيامها:

الحقيقة ،بدأت النهضة في الجمهوريات المختلفة التي تشكل شبه الجزيرة الإيطالية ثم انتقلت الى الأصقاع الأوربية الأخرى بوتيرة تختلف من منطقة لأخرى . وفي هذا السياق ، فإن عوامل عديدة جعلت إيطاليا تكون السباقة في احتضان هذه الحركة قبل غيرها ومن هذه العوامل الرخاء الاقتصادي الذي كان يسود هذه المنطقة .لقد عرف عن بعض الجمهوريات بالخصوص مدينتي البندقية وجنوة ممارستهما للنشاط التجاري مع الشرق وبالخصوص مع الإمبراطورية البيزنطية وكذلك الأصقاع الإسلامية وهذا ليس وليد الفترة الحديثة بل أن الأمر يعود الى فترة العصر الوسيط .ذلك أن تجار هذه الجمهوريات

كانوا يعودون من هناك بسلع ثمينة من :توابل ،حرير ،عطور وغيرها من المواد الثمينة ثم يبيعونها في الغرب بأسعار ثمينة وفوائد جمة .لقد حصلت هذه الجمهوريات على امتيازات تجارية هامة للغاية سواء من البيزنطيين

–مرسوم الامبراطور أليكسوس كومنين Aléxis Comnéne للبنادقة سنة 1082 م .
وكذلك من الحكام المسلمين خاصة في مصر.

إضافة الى هذا العامل ،فإن إيطاليا وبحكم أنها كانت ولفترة طويلة مركز للحضارة الرومانية ، حازت على قدر كبير من الشهرة ،باعتبارهاواحدة من الحضارات الكبرى في الفترة القديمة ومركز هذا الكيان البحر المتوسط . وعلى الرغم من انهيار هذا الكيان سياسيا سنة 1476م ، الا أن إيطاليا ورثت كما هائلا من هذا التراث الروماني ، ومع العصر الحديث تم العمل بكل جد على احياء هذا التراث ، بل أن هذا العصر الأخير بالنسبة للايطالين كان جدير بأن يبعث من جديد وخلال الفترة الحديثة ساهم الاغريق أيضا في عملية البعث هذه ،باعتبار أن عددا منهم اتخذ إيطاليا مستقرا لهم ، وذلك على اثر حركة الهجرة التي حملت الى أوربا ثلة من خيرة الاغريق وهم يحملون نفائس المخطوطات والكتب تم استغلالها واستثمارها في الغرب الأوربي .إن هذا الوضع . فرار المثقفين . أوجده في الواقع اجتياح العثمانيين للامبراطورية البيزنطية ، وسقوط أجزاء من ممثلكاتها في قبضتهم .

من العوامل أيضا التي أهلت إيطاليا لحمل مشعل النهضة أنها ضمت جمهوريات عديدة ، تمتعت كل واحدة بالاستقلال وعلى الرغم من المنافسة بينها بهدف السيادة ، الا أن بعضا منها شهد ميلاد أسرة هامة لعبت أدوارا سياسيا،اقتصادية وثقافية أيضا لعل أشهدها أسرة مدتشي Médicis،التي مسكت بمقاليد الحكم على فلورانسا ،فسكونتي على ميلان وبورجيا Borgia التي نشرت سيادتها على الأراضي البابوية .

وعلى الرغم من أساليب أفر ادها في التسير السياسي والذي غلب عليه التسلط ، لكن عناصر من هذه الأسرى كان لها أكبر دور في حماية الانسانين والعلماء .فلم يكونوا يذكرون بهذا ومالا لدفع هؤلاء لشراء المخطوطات والنبوغ كل في ميدانه.

ضف الى ذلك ،تأسست في إيطاليا العديد من المكتبات التي احتوت بين جدرانها على أنفس المخطوطات والكتب العلمية ، ومن أشهرها مكتبة الفاتيكان التي أسسها البابا نيقولاس الخامس Nicolas II وكذلك مكتبة البندقية التابعة للاغريقي بيساريون Bessarion هذه الشخصية الدينية الهامة استقر في إيطاليا منذ عام 1440 م ،عقب مجمع فيراري فلورانسا،وقبل وفاته منح كل كل إرثه الفكري لهذه المدينة ، والملاحظ أن هذه المكتبة قد ساهمت بشكل واسع في تزويد الانسانيين بجزء من الإرث الاغريقي والذي خضع للدراسة والترجمة من لدنهم .

وفي المجال الفكري أيضا ،لعبت بعض الهيئات العلمية التي سميت بالأكاديميات أدرارا رائدة في احتضان الأساتذة والطلبة في إطار محاضرارت ولقاءات علمية مختلفة ، ومن أشهرها أكاديمية أفلاطون التي أسسها كوزم دي مديتشي. كما تأسست في روما سنة 1460 م أكاديمية على يد جوليوس لاتيوس اختصت في الدراسات التاريخية والأثار القديمة .

تمتعت إيطاليا أيضا بموقع جغرافي متميز ذلك أنها تتوسط حضارات راقية بيزنطية ،إسلامية .وقد اعتبرها البيزنطيون موطنهم الثاني بعد تعرض بيزنطة للضربات العثمانية .لهذا الشعور ما يبرره فمنذ فترة العصور الوسطى كان للبيزنطين قدم في إيطاليا ،في ايطار تأسيس كيان بيزنطي في جنوب إيطاليا ، وهو الأمر الذي تولد عنه احتكاك العنصرين الإيطالي والبيزنطي ،ناهيك عن معرفة الأول بالأخر جراء التنقل في ايطار المبادلات التجارية .

وعلى سياق ذكر العوامل المساعدة على قيام النهضة في إيطاليا ،بشكل وجود مقر البابوية بها عاملا هاما للغاية . في الحقيقة يعود دور البابوية الى فترة العصور الوسطى ، فقبل سقوط روما سنة 476م أدى عددا من البابوات أدوارا سياسية رائدة .ولعل أبرز مثال على ذلك ليون الأول الذي خرج للتفاوض مع زعيم الهون أتيلا يلتمس منه اللطف في المسيحيين وعدم الفتك بهم .هذا الدور السياسي للزعيم الروحي الأول للمسيحين الكاثوليك ظل يتزايد مع مرور الوقت وإذا كان موقف البابوية خلال العصر الوسيط يغلب عليه التشدد الكبير والوقوف في وجه استخدام العقل وكذلك اجهاض كل حركة علمية من شأنها المس بالمعتقدات السائدة أن لرجل الدين وحده الحق في الحديث في مسائل معرفية ، فإن هذه النظرة قد تغيرت الى حد كبير أثناء العصر الحديث ذلك أن عددا من البابوات ساهموا بشكل لافت في رعاية العلم والعلماء ، وأصدق مثال على ذلك :نيقولاس الخامس، بيوس الثاني أوجين الرابع وغيرهم من رجال الدين الأخرين .

المحاضرة رقم 03

– النهضة الأدبية الفنية – الفكرية والعلمية – الاقتصادية

النهضة العلمية

الواقع ،لايمكن الاستهانة بالحياة العلمية التي كانت سائدة في العصر الوسيط ،لكن الأمر البارز حينها أن الاكتشافات كانت نادرة للغاية .وإذا أراد الشخص أن يتأكدما إذا كلن أمر صحيحا لايمر لا محال عبر مطالعة أرسطو الاغريقي ،بدلا مشاهدة الطبيعية ، وفي هذا الصدد ،غنتشرت عبارة " Aristoteles dixit... " بمعنى قال أرسطو".

لكن الوضع تغير بشكل جذري في الفترة الحديثة .مع بداية القرن 14 م وبالخصوص خلال القرن 15 م ساد العقل العلمي الحقيقي في أوربا .فمن جهة ساد العقل العلمي الحقيقي في أوربا .فمن جهة ،انكب المثقفين على ترجمة كتب العلماء الاغريق والرومان ، منهما :كوزموغرافيا Cosmographie لباطليموس ،التاريخ الطبيعي Histoire Naturelle لصاحبه بلاين ،كتاب الفيزياء لأرخميدس Archiméde ،كتاب الطب Médecine لإيبوقراط من جانب أخر فإن الاكتشافات الكبرى ، العقل النقدي وحب البحث والتقصي عند الانسانيين ،قد فتحت أعينا جديدة على العام .لقد أخذ العلماء يلاحظون الظواهر الطبيعية ، ويبحثون على تفسيرها حسب عقلهم ، وذلك بربطها بظواهر أخرى معروفة ،إنهم يقيمون التجارب ومن هذا المطلق يعدون مؤسسي العلم التجريبي.

ليونارد دوفانشي:

فنان كامل ،يعد ليونارد وأيضا باعث العلم والتقنية الحديثة .من سنة 1489م الى 1516م ،فإنه لم يتوقف عن تحرير كراريس ،تحمل رسومات وأشكال حيث جسده أفكاره ومخططاته .بصفته رياضيا وفيزيائيا فإنه ذكر بأن الكون تسيره قوانين صارمة . ومما

قاله :" أفكاري قد ولدت من التجربة التي تعد السيدة الحقيقية ... التجربة هي الترجمة الوحيدة للطبيعة .وعليه فيجب اللجوء إليها دوما ..." وفي موضع اخر أضاف:"دون تجربة ،ليس هناك يقينا على الاطلاق ... وقيل تكوين قاعدة عامة ،أعيدوا التجربة وانظروا لليقين ،حيث لانستطيع تطبيق واحدة من العلوم الرياضية ، أو واحدة من تلك التي تبنى على العلوم الرياضية ."

إنه برع في مجالات كثيرة ، وضع أسس الميكانيكا درس النباتات والحيوانات ورسم ألواح تشريحية رائعة . وبصفته مختصا في الجيولوجيا أيضا ، فإنه اهتم بالانجراف وكذلك ظاهرة تشكل الجبال ، ومقاله في هذا الصدد :"ماكان في الماضي يعد قاع البحر أصبح فيما بعد قمة الجبال " وبنظرة المهندس ، فإنه أسس الهويسات في القنوات ، وتصور مضخات وألات تتحرك بقوة الماء .وفكر في بناء "ألة أثقل من الهواء".

حدث في إيطاليا وباقي أوربا أن قام الباحثون بملاحظات علمية حاسمة .لقد أشار الفلكي البولوني كوبرنيك Copernic بأن الأرض والكواكب الأخرى تدور حول نفسها وتدور حول الشمس . وفيها ألفه سنة 1543م ،كتب قائلا:"بعد أبحاث طويلة اقتنعت أن " الشمس نجم ثابت ،محاط بكواكب التي تدور حول نفسها ، وهي المركز والمشعل .إنها نظرية جديدة فعلا قلبت المفاهيم التي كانت قائمة .فمنذ الأعمال التي أنجزها بطليموس كان يعتقد بأن الأرض ثابتة ، وأن الشمس والنجوم تدور حولها .

من جهة أخرى ، فإن معرفة جسم الانسان قد تطورت أيضا وذلك بفضل الدراسات التشريحية التي أجراها فسال Vésale ،أصله من مدينة بروكسل البلجيكية،وكذلك الاسباني ميخائيل سرفت Michel Servet الذي حقق اكتشافا باهرا في مجال الدورة الدموية .وفي هذا الحقل أيضا فإن الجراح الفرنسي أمبرواز باري .ومن أجل إيقاف مختلف أشكال تانزيف الدموي ،قام بربط الأوعية الدموية بدلا من حرقها بالنار ،كما كان جاريا من قبل .

مهما يكن من أمر ،فإنه على الرغم من هذا التجديد فإن معتقدات تعود الى فترة العصر الوسيط .بقيت قائمة مثلا :التنجيم ،السحر وغير هامة الظواهر الأخرى. وكان على العقل المبني على الرياضيات أن يحارب هذه المساوئ، لينتصر بعد غترة طويلة والتي كانت صعبة.

النهضة الفنية:

في الواقع ، لم تكن النهضة التي شهدتها إيطاليا تقتصر على الجانب الأدبي والجانب العلمي فحسب ،بل إنها شملت الميدان الفني أيضا . وفي هذا المجال ،لم تحدث القطيعة من الفن الذي ساد في العصر الوسيط ،لكن الجديد هذه المرة أن الفترة الحديثة قد حملت معها تغييرا ملموسا في الذوق إضافة الى مستجدات أخرى في ميدان الهندسة المعمارية ، النحت وغيرها من الجوانب الفنية الأخرى.

ومن الأهمية القول أن هذه الحركة الفنية انطلقت من إيطاليا وامتدت لتشمل أصقاعا أوربية أخرى

1. إيطاليا والفنون :

هناك عدة عوامل كان لها الدور الكبير في ازدهار الفن في إيطاليا منها:

الثورة الصناعية التي كانت تتمتع بها المدن الإيطالية .منها أن البندقية قد ارتبطت بشكل وثيق بالرق وهي العلاقات التي عادت على هذه الجمهورية بالفائدة الكبيرة .أما فلورانسا ،فإنها تعتبر مركز هاما للمصارف وكذلك صناعة الجوخ .من جهتها فإن ميلانو وروما فإنهما سعتا الى أن تلمعا بجمالهما .إضافة الى ذلك برز في إيطاليا خلال الفترة الحديثة عدد من البابوات ،الحكام الزمنيين ،أصحابالأموال عرفو جميعهم برعاية الانسانيين والفنانين مع التأكد على هؤلاء ليخلدوا ذكراهم . سمي هؤلاء الرعاة باسم

مسينMécène هذا الأخير هو صديق الامبراطور أغسطس Auguste الذي عرف عنه رعايتهم للأداب والفنون .

ومن العوامل أيضا التي أدت الى احتضان إيطاليا للفن هو الاهتمام المنقطع النظير للايطاليين عموما لكل ماهو فن وجمال .في هذا السياق ،فإن احتواء إيطاليا على عدد كبير من الأثار العمرانية القديمة قد تم اتخاذها كنماذج من طرف الفنانين في العصر الحديث . ذهب الايطاليون الى أبعد من ذلك أنهم قاموا بإحياء القواعد المعمارية التي وضعها المهندس المعماري فتروف Vetruve (القرن الأول الميلادي) وطبقوها بشكل جاد وجدي .

النهضة الفنية الفلورانسية :

تعود بداية النهضة الفنية الفلورانسية الى القرن الرابع عشر الميلادي والتي اشتهر خلالها) شخص اسمه جيوتو Giotto. لكن هذه الحركة الفنية عرفت انتعاشا كبيرا في القرن 15م . سمي هذه الفترة الفترة Quattrocento قام خلالها المهندس المعماري برونلسشيPruneiieschi(1377. 1446م)بوضع قبة ضخمة على سقف كاتدرالية Sante Marie des Fleurs في حين باستا ألبرتي Battista Albert(1404. 1472م)فإنه استوحى من الفترة القديمة لمسات جسدها في لوائعه الفنية الخالدة مثل رواق القديس فرانسوا في رميني Sant Farancais Rimini في جانب أخر ظهرت في هذه الفترة شخصيات برعت في جانب النحت سواء باستعمال مادة البرونز أو الرخام أشهر هؤلاء جبرتي Ghberti(1378 . 1455م)أما دوناتيلو (1386. 1466)فإنه جسد شخصيات هامة مثل القائد جتملاتاGattamelata وهو فارس مقدام .في حين أما لوكا دولا روبيا Lucca della Robia(1399. 1482)فإنه أستاذ في فن الزخرف بالتربة من الوجوه البارزة أيضا جرلانداجور Ghirlandajo 1449. 1498م)الذي أضفى على الوجوه النسائية التي استوحاها من الانجيل جمال ورونق النساء الفلوريد نتيات في عصره.

النهضة الأوربية في روما :عمل عدد من البابوات بكل هوادة على جلب عدد من الفنانين الى روما قادمين اليها من مختلف المدن الإيطالية ،لقد تعايشت جنبا الى جنب أثار قديمة وروائع من عصر النهضة ، ولعل اشهرها ماشجع هذه الثورة البابا جول الثاني Jules II ،وليون العاشر Léon X.

من الوجوه الرائدة في هذا الميدان برامانت Bromante (1444 -1514) ،الذي أعطى يعد أول من مخطط بازيليكا القديس بطرس Saint Pierre إضافة الى مشاريع معمارية من جهة قام ميخائيل أنجلوس بيوناروتي Michel- Ange Buonarotti(1475-1546) بالتنقل بين فلورانسا وروما انه برع في فنون عديدة .وفي الجانب المعماري فإنه وضع مخططات لقبة بازيليكا القديس بطرس.وأنامل الرسام ،فإنه زين وبكل روعة سقف كنيسة سكستين SIXTINE بضمخمة .وبعد خمس وعشرين سنة ،رسم على جدرانها يوم الحساب الشهير ولهذه الشخصية الشهيرة أيضا .اسهامات في جانب النحت لكنه لم يتمم مشاريعه الشهيرة أيضا.إسهامات في جانب النحت لكنه لم يتمم مشاريعه منها صريح البابا جول الثاني .إنه عبقري بحق ، ترك بصفة من ذهب في الفن الإيطالي في نفس المجال أيضا ،يعد رفائيل سنزيو Raphael Sanzio(1483-1520)من المشاهير أيضا ذاع صيته فيما قام به من توين الفاتيكان بالفسيفساء.

من أبرز الروائع الفنية التي تم تجسيدها في إيطاليا بازيليكا القديس في روما Saint pierre ،أكبر كنيسة في العالم المسيحي بدأها برامنت ثم واصل الأشغال بها كل من رفائيل ثم ميخائيل أنجلوس،اكتمل العمل بها في القرن 17 م وهذا على يد مادرنو Maderno ولوبرنين Le Bernin ،دام العمل بها لأكثر من قرن وربع من الزمن ،تعد أية من الجمال والفن الراقي ،ثم فيها استبدال الصليب الاغريقي الذي وضعه برامنت بالصليب اللاتني الذي يتماشى مع لاحتفالات الغربية اللاتنية .لكم بحجم ضخم وتزينها

الذي غلبت عليه الفخامة والقبة الضخمة فإن هذه البازيليكا قد جسدت وبكل جدارة النهضة الإيطالية .

المدرسة اللومباردية :

يعد ليوناردو فنشي Léonard de Vinci (1452- 1519)أبرز من مثل هذه المدرسة ،عمل في فلورانسا ، ولكن قضى فترة طويلة في ميلانو في بلاط حاكمها لودفيك لومور Ludovic le Moreوتوفي في فرنسا حيث جلبه الى هناك الملك الفرنسي فرانسوا الأول .يعتبر ليوناردو عالما أكثر منه فنانا .عرف بشغف البحث في مختلف المجالات .

ففي ميدانه اكتشف طريقة جديدة في التعامل على الضوء سميت سفوماتو Sfumato.

كما أنه أعطى لوحاته مظهر تميز بالابتسامة الغريبة .الجوكند Joconde والقديسة Sainte Anne .

مدارس شمال إيطاليا

تميز عن الرسم في مدينة البندقية . التركيز على اللوز والزخرفة .ومن أشهر من مثل هذه المدرسة :جيورجيون Giorgione (1478- 1511م)، لوتتيان Le titien (1477. 1576م)وفيرونيز Véronèse(1528. 1588م) لوتنتوريت Tintoret(1512. 1594م) .كذلك المهندس المعماري بلاديو palladio (1508. 1580م) وفي بادوا padoue ،اشتهر مونتجنا Manegaga (1431. 1506).أما في مدينة بارما ،فقد برز لوكوريج Corrége(1489. 1534م) الذي عرف باستعماله للزخرفة على الفسيفساء .

في ميدان الموسيقى

حتى أواخر القرن 16 م ، فإن الموسيقى كانت مختصة بالصوت أما الوسائل الرئيسية المستعملة فكانت :عود وكمان ،معزف قيتاري وكذلك أرغن .على الرغم من ذلك

، فإن عددا من poly Momots فإنهم أنجزوا كتابات في هذا الميدان ومن أشهر هؤلاء : جوسكين بريز Josquin des prés ، جانوكين Jannequin والإيطالي بلاسترينا palestrina (1524. 1594م) في هذا السياق ،لقد ساهم الإصلاح البروتيستانتي في كل من فرنسا وألمانيا بالخصوص في انتاج الأناشيد ذات الطابع الديني .وفي القرن 17 م كان ميلاد الأوبيرا Opera

النهضة الفنية في فرنسا :

بلغت التاثيرات الإيطالية مملكة فرنسا .والحقيقة أن هذا التغلغل قد بدأ مع منتصف القرن 15 م ، من التأثيرات تسارعت خلال الحروب الإيطالية .لقد عاد الملوك ، وكبار الأسياد ،عقب عزوهم لإيطاليا بعدد من الألواح الفنية لإيطاليا ، والتي أثارت إعجابا منقطع النظير لكل شخص وقعت عليها عينية .وفي هذه المناسبة أيضا الغزو الفرنسي لإيطاليا . تم استدعاء عدد من الفنانين الايطاليين للعمل في فرنسا .

الملاحظ أن خلال القرن 15 م ، فإن النمط القوطي هو الذي غلب على الهندسة المعمارية في فرنسا .لكن شيئا فشيئا تم ادخال الزخرفة الإيطالية على الكنائس الفرنسية من هذه الأنماط الزخرفة : القوس الحادة نتوءات متلوية .

عرفت هذه الفترة أيضا ، بناء القصور الفخمة .لقد تم الاحتفاظ بالأبراج الضخمة التي ورثتها أوربا عن العصر الوسيط شرف ،صلبه أسقف منحدرة ،لكن مع التطور الفني في العصر الحديث تم فتح نوافذ في الأسواق والتي تم بشكل رائع ومن روائعها قصر Chaumomt–sur Loire .

ومن الروائع المعمارية التي امتزج فيها أيضا النمطين اللقوطي والإيطالي بالنسبة لفرنسا ، تلك القصور التي بنيت على نهر اللووار Loire والتي بناها بعض ملوك فرنسا وكبار رجال المال .كما شهد فن النحت تطورا مذهلا أيضا ، وقد تجسد التزاوج بين الفنين

القوطي والإيطالي في كاتدرائية ، مدينة نانت Nantes في ضريح دوق بريتاني Bretagne واسمه فرانسوا الثاني Francois II وأشهر النحاتين الفرنسيين ميخائيل كولومب Michel Colombe (1431. 1512م) (1460 . 1530م) وجيرارد دافيد Gérard Daviid(1460؟ 1528م)،لكن أشهرهم جميعا في هذه الفترة هو بروجبل العجوز Bruegele vieux(1530؟ . 1569م)الذي زار إيطاليا وعاد منها بمعارف رائدة في المجال الفني .

الفن في اوربا الوسطى والشمالية :

احتفظت ألمانيا في مجال الهندسة المعمارية الدينية بالنمط القوطي الذي ورثته عن العصر الوسيط . لكن أمراء العصر الحديث تبنوا النمط الجديد في الفن .

لقد تجسد النمط الإيطالي بكل رونقة في الجناح من القصر الذي تم بناءه في منطقة هيدلبيرج Heidelberg في عهده الناخب البلاطي أوتو . هنري Othon –Henri سنة 1556 م . وفي مدينة براغ prague أشرف الفنانين الايطاليين في تأسيس قصر بلفدير Belvédère وفي كراكوفي caracovie تم بناء قصر فافيل wavel

وفي إنجلترا ،شهدت أواخر القرن 16 م حركة غير مسبوقة في بناء القصور الفخمة أشهرها بورجلي هاوس ، مقر الوزير الأول للمملكة إليزابيت .

بالنسبة للمنطقة الأسكندنافية ، فإن التأثيرات الفنية الإيطالية الاسكندنافية ، فإن التأثيرات الفنية الإيطالية قد تغلغلت هناك عبر وساطة .

مدرسة فونتن بلو Fontainesbleau

بهدف تزيين القصر الذي يقيم فيه الملك فرانسوا الأول في فونتين بلو ، فإنه جلب الى حظيرته عددا من ألمع الفنانين الايطاليين والظاهر أن النمط القوطي قد تراجع

لحساب النماذج الإيطالية الحديثة .أعمدة مستطيلة ناتية ،جبهية كلها أساليب حديثة تجسد بحق انتصار اللذوق الإيطالي .

ومن النحاتين الفرنسيين في هذه الفترة تذكرة حناجوجون Jean Germais pilin (1535 . 1590) ،أما المنمنمين فقد برع كل من نيقولاس فرومنت Nicolas Froment وحنا فوكيت Jean Fouquet(1415؟. 1480)

النهضة الأوربية في فلاندر Flandre وأوربا الوسطى والشمالية :

عرفت الأراضي المنخفظة (بلجيكا وهولندا) خلال القرن 15م نهضة فنية حقيقية .بلغ التأثير الإيطالي الى هذه المناطق كما في فرنسا ، لكن سرعان مابرز هناك نمطا أصيلا "ووطنيا " في الجانب المعماري تجسدت مظاهر النهضة بالخصوص في holels المدينة ، وأشهر مثال ذلك الذي تأسس في مدينة أنفرس Anvers التي تعد بحق مركزا تجاريا رائدا في القرن 16 م من الأسماء الشهيرة في ميدان peindme كونتين ماتزيس quentin Matsys

المانيا

من اشهر peintre الالمام هما: البرت دورير Albert Durer (1471 – 1528م) من مدينة نورمبورج Nuremberg و هو رسام نقاش و هانز هولباين Hans Holbein (1497 – 1544م) من اوجسبورج، رسام وجوه بارع، عاش جزء كبير من حياته في إنجلترا. إضافة الى هذه الأسماء، نذكر، لوكاس كراناش Lucas Carnach (1472 – 1553م)، صديق المصلح ماتين لوثر، زيادة على ماتياس جرونوالد Mathis Grunewald (1470 – 1529م).

النهضة الفنية في شبه جزيرة ايبريا:

يعد الفن الذي انتشر في شبه جزيرة ايبريا مزيجا من الأنماط المختلفة: القرطبة، الإيطالية و الإسلامية. وصف التحف المعمارية الرائعة تلك التي بنيت في كل من سلامنك Salamanque ، جوادلاجرا Guadalajara و في الاندلس. اما ا لبرتغال، فإنها اشتهرت بالنمط الذي اطلق عليه اسم مانويلين manuelin . نسبة لمانويل الأول Manuel I الذي حكم من 1495 الى سنة 1521م.

و في مدينة غرناطة، أسس الامبراطور شارل الخامس Charles Quint قصرا مستوحى ذلك الذي شيده برامانت Bramante ، و يشمل هذا القصر على ساحة شاسعة على شكل دائري و طبقتين من الاعمدة منضدة

في عهد فليب الثاني Philippe II انتشر فنا غلب عليه الطابع الصارم و الذي نتج عن الإصلاح المضاذ و قد دام هذا النمط لمدة نصف قرن من الزمن، و خلال هذه الفترة أيضا، استقطبت سبه جزيرة الإيبيرية عددا من الأسماء اللامعة الأجنبية منهم الهولندي و اسمه أنطونيو مورو Antonio Moro ، الاغريقي ثيوتكوبولوس Theotocopoulos المعروف باسم جريكو Greco (1541 – 1614م) و هو فنان زاهد. و الى جانب هؤلاء، النحات الكبير بروجوات Berruguette .

المحاضرة رقم 04:

نتائجها وخصائصها

أطلق المؤرخون على الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن 15 م وبداية القرن 16 م تسمية "العصر الحديث" في الواقع تميزت هذه الفترة بظاهرة أجمع المؤرخون على تعريفها بالنهضة الأوربية La Renaissance européenne

والمقصود بها حركة إحياء التراث القديم ليس هذا فحسب ، بل حدث أثناء هذه الفترة أن أبدع الفرد الأوربي في مجالات أخرى ، اجتماعية ،علمية اقتصادية وغيرها من الميادين الأخرى . ومن هذا المنطلق، يتبين أن هذه الفترة من تاريخ أوربا . كان فيها الفرد الأوربي " محور كل النشاطات " التي وقعت في الميدان ، وذلك بعد حقبة طويلة كانت فيها الكنيسة الآمر الناهي فحسب.

أحدثت النهضة الاوربية نقلة نوعية في حياة الشعوب وكذلك الحضارات .الملاحظ أن هذه الثورة العارمة التي عرفها العصر الحديث في مختلف المجالات ،العلمية ،الفنية ،الاجتماعية ،الدينية والاقتصادية قد مست بالدرجة الأولى أوربا ،لكن بعض من هذه التغييرات قد تعدت حدود هذه القارة .

جدير القول أن المؤرخين قد اختلفوا في إعطاء الصبغة الزمنية لهذه الحركة " النهضة الأوربية ،وفي هذا المجال وبحكم عدم إمكانية ذكر جميع الآراء فإننا نقتصر على إثنين منها أولهما ذلك الذي اعتبر بأن النهضة الإيطالية ظاهرة قد نمت بعيدا عن الحضارات الوسيطية، في حين يرى وزنجاHuizingua بوجود " خريف للعصر الوسيط " و "ربيع النهضة ".

مهما يكن، فإن الأمر المؤكد أن حركة النهضة التي عرفتها إيطاليا تسببت في هجرة لا سابق لها لطلبة غادروا بلدانهم الأصلية وشدوا الرحال الي إيطاليا للتعلم في جامعاتها الراقية والاستماع لأساتذتها الذين تجاوز صيتهم الأفاق. وبعد انقضاء فترة الدراسة ،يعودون الى ديارهم وفي جعبتهم أفكارا وفلسفات متنوعة ولا ننسى إطلاقا في هذا المقام الدور الرائد الذي لعبته الطباعة باعتبارها من الاكتشافات الرائدة ليس لأوربا فحسب بل ثورة حقيقية في تاريخ البشرية جمعاء .

شهدت هذه الفترة أيضا ظهور شريحة أطلق عليها اسم الإنسانيين Humanistes، كلمة مشتقة من الكلمة اللاتنية Humanus بمعنى الشخص المهذب المثقف .لقد كتب هؤلاء وأبدعوا أيضا ابداعا في مختلف الفنون الى درجة أن قيل تأسست في أوربا "جمهورية الأدب". في الواقع لم تكن مهمة الإنسانيين يسيرة على الاطلاق ، لقد اصطدموا وبشدة بالأفكار المحافظة التي كان يحملها رواد علم المدرسة La Scholastique والتي كانت جامعة السوربون Sorbonne باريس ، عاصمة المملكة الفرنسية ، قلعة حصينة لهذا التيار الذي ورثته أوربا عن العصر الوسيط .

مهما كان ما قيل عن النهضة أنها قطيعة أو استمرارية لمظاهر حضارية سابقة ، فإن الشيء المؤكد أنها " يوما جديدا " عاشته أوربا وفي نفس الوقت من الضروري القول أن أوربا لم تشهد في هذه الفترة تقسيما اقتصاديا فحسب ، بين شمال أوربا الذي تميز بالحيوية، والجنوب الذي ورث أثقال الماضي ، بل إن هذا التقسيم انطبق أيضا على الحركة الإنسانية. ففي القسم الشمالي لأوربا، عرفت أفكار الانسانيين مناخا ملائما ترعرعت فيها وأعطت البذور لأراء أخرى ، في حين أنها في القسم الجنوبي من هذه القارة اصطدمت بالأفكار السابقة .كما أشرنا الى ذلك سابقا .

مهما يكن من أمر ، فإن فجر القرن السادس عشر الميلادي يعد بحق بمثابة " العصر الذهبي للأدب الإنساني " ،كانت فيه روما التي تعج بالذكريات الأدبية الكلاسيكية

بمثابة المركز والبؤرة الرئيسية لهذه الثقافية ذات المستوى العالي ، وقد كان التركيز فيه بشكل كامل على الانسان الذي أطلق العنان لعقله ، فأبدع وبرع فعلا في ذلك.

وانطلاقا من هذا التفسير يمكن القول بأن النهضة هي ثقافة جديدة وفن جديد للعيش إتها عقيدة جديدة ، وحماس تجسد عند الأدباء ، الشعراء ، الموسيقيين والملوك أيضا. وكلهم يتوقون الى الجمال .وراح حنابودين Jean Bodin أحد رجالات عصر النهضة البارعين الى القول بأن النهضة هي حركة ثورية بكل معنى الكلمة .إنه كتب في مؤلفه " الجمهورية "Republique بأن للشعب الحق في قتل الحاكم الطاغي إذا أصبحت الملكية طاغية " انطلاقا من هذا المفهوم يقتضي الاشارة أيضا الى أن النهضة تعتبر أيضا فترة الصراعات في مختلف المجالات .

لم تكن فترة النهضة الاوربية تقتصر على الادب، البلاغة ، النحو وما الى ذلك من الفنون الأخرى ، بل إن هذه الحقبة شهدت أيضا اندلاع ثورة دينية بحجم غير مسبوق اصطلح على تسميتها" بالإصلاح الديني " .

في الحقيقة لم تكن هذه الخطوة الأولى في طريق إصلاح شؤون الكنيسة الرومانية وتقليص سلطة البابا بل وحرمان من بعضها والتي تسلط بها على المسيحين كحقه لوحده في تفسير الكتاب المقدس، بل سبقتها محاولات لكنها أجهضت بشكل سريع .

لكن خلال العصر الحديث، ومع توفر الشروط الفكرية ، الطباعة وعوامل أخرى أخذت حركة الإصلاح بعدا أوربيا واسع النطاق .في هذا السياق ،بعد مارتن لوثر Martin Luther الألماني السباق في هذا المجال .إنه ابن الكنيسة ،دكتور في اللاهوت ، لم يكن راضيا على الاطلاق بجوانب من التسيير الروماني لشؤون الكنيسة فانتفض .ولتمرده على الوضع ما يبرره .إن أفكاره تتعدى حدود الكنيسة فحسب ، إنه من دعاة

تأسيس الامة الألمانية ،ألم يترجم الانجيل للغة الألمانية؟ فكل واحد يرغب في الحديث عن الوحدة الألمانية لا يمكنه أن يتجاهل " لوثر" .

أفكاره الإصلاحية انتقلت بسرعة الى عدد من أصقاع أوربا وبالخصوص القسم الشمالي منها ، مثل قطرة الزيت التي تنتقل من مساحة لأخرى بسرعة كبيرة ، فكلما ابتعدنا عن أوربا اللاتنية. سهلت عملية تلقي الأفكار الإصلاحية . سرعان ما التحق بالركب اللوثري مصلحين أخرين لايقلان أهمية عن الأول إنهما زقنجلي Zwingli وكالفن Calvin.

من الأهمية بمكان القول أن هؤلاء الثلاثة وأتباعهم قد كابدوا الصعاب ووجدوا الساحة مليئة بالأشواك ، لكنهم لم يستسلموا قيد أنملة ولم يتنازلوا عن قناعتهم إنهم حملوا مشروع بناء كنيسة حقيقية التي دعا اليها المسيح عليه السلام . اعتمدوا في بناء مشروعهم الديني على قراءة النصوص الاصلية .لكن ، على الرغم من الصراع الطويل والمرير أيضا ، فإن الأفكار الإصلاحية أو البروتيستانتية Protestantes انتشرت في أجزاء كثيرة من أوربا أصبحت شوكة في حلق الكاثوليك .

مهما يكم من أمر ،فإن النهضة الاوربية تعد بحق يوما جديدا أشرقت أنواره على أوربا، ولا يكتمل الحديث عنه دونما ذكر الدور الرائد للمسلمين في جواني من هذه الحضارة الأوربية وفي هذا المجال ذكر المؤرخ الشهير جوتي (أ. ف.) (Gautier E.F)بأن المسلمين قد منحوا أوربا البوصلة ، الورق الذي نقلوه عن الصينين ، معارك في علمي الفلك والكمياء ويضيف نفس الكاتب أن الغرب انطلق حيث توقف المسلمون ،وكأنهم منحوهم المشعل ، كما كان العداءون القدامى ينقلون لبعضهم المشعل المقدس.

المحاضرة رقم 05:

الحركة الإنسانية والإصلاح الديني

الإنسانيون الإيطاليون:

في الحقيقة تعود جذور الحركة الإنسانية التي ظهرت في إيطاليا خلال القرن 15م، إلى فترة بترارك Pétrarque الذي لقبه المؤرخ رينان Renan "أوّل رجل حديث" بمعنى أن القرن 14م قد شهد بدايات هذه الثورة الفكرية التي من خلالها تمّ احياء الماضي.

بالنسبة للإنسانيين الأوروبيين، فإن القيام برحلة إلى إيطاليا يعدّ بحق إجازة للأستاذية، وفي هذا السياق، اعتبرت روما عاصمة للمسيحية واللّغة اللاتينية، وقد حط بها مثقفون قدموا من مختلف نواحي أوروبا منها، كراكوفي Cracovie، أوكسفورد Oxford، كولونيا Cologne وغيرها من المدن الأخرى.

الإنسانيون:

جيوفاني بيكوكونت لاميروندول Giovanni Pico, Comte de la Mirandole أشهر مؤلفاته خطاب عن الكرامة البشرية Discours sur la Dignité Humaine، ويمكن اعتبار هذا التأليف بمثابة "بيان النهضة والفكر الإنساني" وكتب قائلا: "قرأت في كتب العرب أن لا يمكن أن نرى شيئا أكثر روعة في العالم إلاّ الإنسان".

كما ألف جيوفاني كتابا آخر عنوانه " المطابقة أفلاطون وأرسطو".

بالنسبة لهذا الإنساني الشهير، وكل التيار الإنساني الذي جاء بعده، فإن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يحتل مركز كل ما تم خلقه، وهذه الفكرة قد لخصها الإنساني الهولندي الشهير إيرازم من روتردام Erasme de Rotterdam الذي كتب في مؤلفه De Pueris Instituendis الذي تم نشره سنة 1529م ما نصه: "الإنسان لا يولد انسانا، فهو من يجعل من نفسه انسانا". في هذا السياق كتب ليوناردو دوفنشي Léonardo De Vinci بأن " الإنسان هو نموذج للكون".

كان الهدف من وراء الاهتمام بعلوم الخطابة، والتي تأثر بها أصحابها ببعض النماذج القديمة مثل: شيشرون Cicéron وكنتليان Quintilien وغيرهما من الأعلام الأخرى، هو تنشأة ما سمي "بالخطيب" ويقصد بهذه الكلمة، الذي يملك حسن: الكلام، الكتابة والتفكير، ومن أجل تحقيق هذا الهدف الأسمى اهتم الإنسانيون بالكتاب الإغريق واللاتين من خلال القراءة والتعليق على الإنتاج الذي تركه هؤلاء. تلك الكتب القديمة قد تم نشرها بشكل واسع بفضل اكتشاف الطباعة. وكانت إيطاليا سبّاقة قبل غيرها في مجال النشر. فخلال أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م، حدث في البندقية أن قام ألد مانوس Alde Manuce بنشر ولأوّل مرّة لعدد من الكتب الإغريقية وكذلك اللاتينية منها بالخصوص، الكتب الكاملة لأرسطو وهي باللّغة الإغريقية إضافة إلى مؤلفات جامبليك Jamblique، الكوميديا لأرسطوفان Aristophane، رسائل لفلاسفة وخطباء إغريق أمثال: هوميروس Homère، فرجيل Virgile، هوراس Horace، جوفنال Juvénal، ومن بين الكتاب المحدثين، دانتي Dante، بترارك Pétrarque وأنج بوليتيان Ange Politien. وفي هذه الفترة أيضا ظهرت الحروف الراقية المسماة الحروف الطباعية المائلة.

وقام ألد، الذي يعد بدوره إنسانيا شهيرا، بأن جمع حول ورشته المشهورين الذين قدموا من بيزنطة وأصقاع أخرى في الحوض الشرقي للمتوسط. عرفت باستعمالها اللّغة الإغريقية، وحتى أولئك الذين قدموا من إيطاليا نفسها منهم: ماركو موزورو Marco Musuro، سبيون فورتيجيري Scipione Forteguerri، نيقولو ليونيكو توميو Niccolo Leonico Tomeo وغيرهم من الشخصيات الأخرى، وقد شكّل هؤلاء ما سمي بالإكاديمية الألدينية l'Académie Aldine.

من الأهمية الإشارة إلى أن إيرازم، وخلال اقامته سنة 1508م، بالبندقية إلى جانب ألد، فإنه لجأ أكثر من مرّة لطلب المساعدة من أعضاء الأكاديمية لضلوعهم في مجال اللّغة الإغريقية.

الواقع ان عددا من الإنسانيين لم يكتف بإعادة بعث الآداب القديمة فحسب، بل أنهم عملوا دون كلل أو ملل للتعمق في مجال العقيدة المسيحية. فكان الرجوع إلى الأناجيل وكتابات آباء الكنيسة، وفي هذا الإطار فإن المطبعات المختلفة قدّمت لهم الوسائل التي تساعدهم في أبحاثهم المختلفة. سمي هؤلاء "بالإنسانيين المسيحيين" منهم: إيرازم، مور More، بودي Budé. لقد سعى هؤلاء وغيرهم التوفيق بين حبهم للآدب الدنيوية والآداب المقدّسة، وفي نظرهم، فإن معرفة اللّغتين الإغريقية واللاتينية لغة أفلاطون ولغة شيشرون، يعد بمثابة الطريق المؤدي إلى عمق الإنجيل.

في هذا السياق، يعد الفلورانسي مارسيل فسين Marsile Ficin، هو الشخص الذي حقق في فكره وكتاباته التوفيق الأكمل بين الفلسفة القديمة بالخصوص الأفلاطونية والفلسفة المسيحية، مقتنع بأن حقائق العقل وحقائق العقيدة يجب أن تتطابق. حوالي سنة 1460م، وكان عمره آنذاك سبع وعشرين سنة، بدأ مارسيل تأليف كتابه الشهير ترجمة

والتعليق على أفلاطون والفلاسفة الأفلاطونيين، إضافة إلى كتبه الخاصة. أشار مارسيل وتلامذته إلى وجود آثار للمسيحية في الكتابات الوثنية القديمة. يرى مارسيل بأن المسيحية كانت في طفولتها، فكبرت عند الإغريق والإيطاليين وقد مثل هذه المرحلة شخص بيتاجور Pythagore، "وبلغت الكمال في أثينا مع أفلاطون".

في منزله الريفي، فإن مارسيل قد أحاط نفسه بمجموعة من الأصدقاء، يتنافس معهم حول مسائل مختلفة، فإنه الفكرة بأن الأفلاطونية، وهي الفلسفة ما قبل المسيحية، هي الفلسفة نفسها التي انتشرت في فطرة النهضة. ومن بين أشهر ما ندى به، أن أفلاطون في الأمور الإلهية وأرسطو في المسائل الطبيعية؛ هذا رغم أن هذه الفكرة لم تلق الإجماع عند جهرة الإنسانيين.

الحركة الإنسانية الفرنسية:

حدث مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م، أن حوّل الإنسانيون الفرنسيون نظرهم نحو إيطاليا. في هذا السياق، قام غليوم فيشت Guillaume Fichet بإدراج الأفلاطونية في الفلورانسية ضمن مقررات جامعة باريس وهذا عبر وساطة أحد الأعلام الإغريق واسمه بيساريون Bessarion.

يعد المؤرخ روبرت جاجين Robert Gaguin من أوائل الإنسانيين الفرنسيين. ألف سنة 1495م كتابا بعنوان De Origine et Gestis Francorum Compendium. هو القائد العام لهيئة التثليث. ولد سنة 1433م في منطقة كالون على الليس Calonne_Sur_la_Lys، درس في بداية الأمر بمنطقة الفلاندر، ثم التحق بجامعة باريس حوالي سنة 1457م، وبعد رحلات قادته إلى إيطاليا، ألمانيا، اسبانيا، فإنه قسّم وقته بين الانشغالات التي تهم هيئته الدينية، وكذلك نشاطاته في كلية Décret التي

أصبح عميدا لها سنة 1483م، إضافة إلى البعثات والسفارات الملكية التي كان يقودها وأيضا ممارسة مهنة تدريس الآداب القديمة.

لقد ساعد اكتشاف الطباعة هذا الإنساني الفرنسي وغيره، في عملية نشر ما كان يكتب والاطلاع أيضا عن المؤلفات التي كانت تصدر آنذاك من أعمال هذا الإنساني، أنه أنجز ترجمة لاتينية لـ Curial الذي ألفه ألان شارتيي Alain Chartier.

تعّدت شهرة جاجين الآفاق، إلى حد أن إيرازم الذي لم يكن معروفا كثيرا آنذاك، حين إقامته لفترة في باريس، قد نشر رسالة تكريم للمؤرخ الفرنسي جاجين

في هذا السياق، كانت باريس مركزا ثقافيا رائدا ومهمّا في كل أوروبا وقد وصف الإنساني الإيطالي واسمه فليبو برووالدو Filippo Beroaldo، الذي قدم إلى باريس سنة 1476م بهدف التدريس بها، هذه المكانة المرموقة للعاصمة باريس بقوله:" باريس هي أشهر موطن لكل الفنون ... هنا كبرت الفلسفة، أم كل الفنون، مديرة الحياة البشرية، سيّدة فن العيش، ...

هنا تنعقد جلستها المقدّسة...".

أما الإنساني الفرنسي الآخر فهو جاك لوفيفر Jacques le Févre وهو من منطقة بيكاردي Picardie d'Etaples، قام بالتعليق على الكتاب القدامى بالخصوص أرسطو. درس في كوليج الكاردينال لوموان Cardinal Lemoine حتى سنة 1521م. كتب سنة 1490م، مقدّمة في الميتافيزيقا. بعد زيارتين لإيطاليا سنة 1491 و 1492م، وعكف على نشر ترجمات وتعليقات لعدد من الكتب منها: الفيزياء، الكتب الأخلاقية والأورجانون.

كان جاك لاهوتيا أيضا، إنه جمع في تدريسه بين الحركة الإنسانية والمسيحية، لكن المسيحية الاصلاحية.

في هذا السياق، كان جاك يتابع عن كثب وباهتمام منقطع النظير حركة الإصلاح التي كانت تهدف إلى اصلاح شؤون الأديرة بالخصوص: تلك التي تحمل اسم القديس فيكتور Saint Victor والقديس جرمان_دي_بري Saint Germane_des_ Prés. وعلى الرغم من الاعجاب الذي أبداه جاك لشخصية أرسطو، لكنه لم يجعل من هذه الشخصية الاغريقية لاهوتيا. إنه نشر كتب الصلوات.

ألف جاك أيضا كتبا في علم الرياضيات والنحو. ضمن تلامذة وأصدقاء جاك، برز كل من جوس كليشتوف Josse Clichtove ونيوبرت في منطقة فلاندر Nieuport وقد عرف هذا الأخير بتأثر كبير بفكر لوفيفر، إضافة إلى شارل من بوفلس Charles de Bovelles الذي ألف أوّل كتاب عن الرياضيات وتم نشره سنة 1501م في جزء واحد، تضمنت كتابات لوفيفر وكليتشوف.

عرف هذا الأخير أنه قرأ أرسطو على يد جاك في كوليج الكاردينال لوموان، أصبح أستاذا للفنون، كما أنه درس اللاهوت على يد المصلح رولين Raulin. ألقى كليشتوف في جامعة السوربون دروسا عن الإنجيل، قرأ بطرس اللومباردي Pierre Lombard، كما أنه لم يتوقف عن التدريس في كوليج الكاردينال لوموان، الآداب والفلسفة. إنه زواج بين الحركة الإنسانية واللاهوت. من كتبه: De Laude Monastecae religionis Opusculum وقد صدر الكتاب سنة 1513م، وكتب أيضا: Elucidatorium Ecclesiasticum الذي رأى النور 1516م إضافة إلى كتب أخرى.

أما شارل من بوفلس الذي يعد بدوره أحد تلامذة لوفيفر. تأثر شارل كأستاذة بكل من أرسطو ونسقولاس دوكوس Nicolas De Cues. ألف عدّة كتب في فنون مختلفة وهي الجبر، اللاهوت، الفلسفة. قام بعدّة رحلات زار من خلالها عدّة أصقاع أوروبية منها: فرنسا، الأراضي المنخفضة، إسبانيا، سويسرا، ألمانيا وإيطاليا.

ألف شارل عدّة كتب عن فقه اللّغة، كتابة المعاجم، الأمثال الفرنسية، ومؤلفات أخرى هامة في الجانب الديني، فاحت منها رائحة الإصلاح الديني، كما ألف أشعارا لاتينية وفرنسية، وكتابا بعنوان حياة السيدة القديسة كاترينا Madame Sainte Vie de Catherine.

من الشخصيات الفرنسية البارزة في عصر النهضة، والتي تتوّجه لها كل الأنظار، إنه غليوم بودي Guillaume Budé، الذي اعتبر أوّل أوروبي عالم باللّغة والأدب اليونانيين. تولى وظيفة شيخ التجار من سنة 1522 إلى 1524م، والمستشار شبه الرسمي الملك فرانسوا الأوّل François I er، وهي المهام التي سمحت لغليوم بأن يشغل مكانة مرموقة لدى الطبقة البورجوازية الفرنسية التي احتضنت الحركة الإنسانية الفرنسية وخاصة الباريسية منها.

يعد بودي انسانا مسيحيا، نشر سنة 1534م، كتابه الذي يحمل عنوان: De Transitu Hallenismi ad Christianisnum بيّن من خلاله علامة خضوع الحكمة الإغريقية أمام قداسة الإنجيل.

اهتم بودي أيضا بالمسائل التي شغلت عصره، المؤسسات السياسية، القضائية، المسائل ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي أيضا. إنه فتح الباب على مصراعيه للعلوم

الإنسانية. اشتهر بودي أيضا بما نشره سنة 1529م، من "تعليقات عن اللّغة الإغريقية" واستحق بذلك لقب "عالم باللّغة والأدب اليونانيين".

أشرك الملك الفرنسي فرانسوا الأوّل هذا الإنساني الفذ في وضع مخططات نتج عنها سنة 1530م، تأسيس الكوليج الملكي Collège Royal، هذه المؤسسة الجديدة أحدثت ثورة حقيقية في الجانب المعرفي ونقل المعارف، لقد جسّدت القطيعة مع علم المدرسة Scolastique التي كانت سائدة في العصور الوسطى.

الحركة الإنسانية في القسم الشمالي من أوروبا:

1-إنجلترا:

كان لأكسفورد Oxford عصا السبق في مجال الآداب الإنسانية، وقد سبقت في هذا المجال كمبريدج Cambridge. درّس في أوكسفورد اللاهوتي حنا كوليت John Colet، قبل أن يصبح سنة 1504م عميد كاتدرائية القديس بول Saint-Paul في لندن. هناك أسس إلى جانب الكنيسة، أوّل مدرسة إنسانية لندنية للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 10 و16 سنة، وقد تلقوا فيها تعليما على أيدي أشهر الأساتذة.

قام كوليت برحلة إلى إيطاليا، التقى بمرسيل فسين Marsile Ficin، وعندما عاد إلى إنجلترا حمل معه حب اللغة الإغريقية، وعبادة أفلاطون والأفلاطونية-الحديثة. أعطى كوليت في مواعظه وفي حواراته العائلية، الأهمية القصوى للإنجيل وكتابات آباء الكنيسة. لكنه، اعتقد أن على الكنيسة الخضوع لعملية الإصلاح الشامل، وقد تزعم هذا الإنساني "مصلحي أوكسفورد"، عرف بجرأته في انتقاد الحاكم والولاة الآخرين.

أما توماس لياكر Thomas Linacre، فيعد الباعث الحقيقي للدراسات الإغريقية. أصله من كنتربوري Canterbury مرب في فلورانسا، لأبناء لورانس الوسيم Laurent le magnifique. حصل لياكر على دكتوراه في الطب من جامعة بادوا Padoue نحوي في كل من كامبريدج وأكسفورد، طبيب خاص للملكين لهنري السابع Henri VIII وهنري الثامن Henri VIII. أنجز عدّة ترجمات لأطباء قدامى.

ومن الإنسانيين الإنجليز أيضا، وليام جروسين William Grocyn متخصص في اللّغة والأدب الإغريقيين، لامع أيضا، رجل قانون وتوماس مور Thomas More، هذا الأخير تولّى بعدها مناصب عليا في المملكة البريطانية. عرف هذا الأخير بولاءه للكنيسة الرومانية. عرف بثقافته الإنسانية الواسعة وإراداته الفولاذية للإصلاح، وهو ما عبّر عنه سنة 1516 في مؤلفه "الطوباوية".

من جهة أخرى، فإن الملك هنري الثامن الذي كان إنسانيا بدوره، قد عرف بحبه للفنون والآداب وكل الأفكار الجديدة التي لا تمس بصلاحياته.

أما الطباعة فكان انتشارها بطيئا، لكن سرعان ما نشرت المدينتين الجامعيتين الكبيرتين وهما أكسفورد وكمبريدج إضافة لمدينة لندن عددا هاما من الكتب الشهيرة آنذاك، لكن تلك المراكز لم تكن لتضاهي المقرات الكبرى الموجودة في أوروبا القارية.

2-الأراضي المنخفضة:

تعد الأراضي المنخفضة مسقط رأس لورانت دوكوستر Laurent de Coster، مخترع الأحرف المتحركة من المعدن، بمعنى مخترع الطباعة الحديثة. خلال العقود الأخيرة من القرن 15م، ظهرت في الأراضي مراكز إنسانية، مدارس دينية أو علمانية، إضافة إلى دور للطباعة.

وفي هذه المنطقة الأوروبية، لعبت هيأة "إخوة الحياة المشتركة" Frères de la Vie Commune، نظام يضم علمانيين الآداب القديمة. وقد عرفوا تنديدهم بالتشدّد النسكي والتمسّك بنمط الحياة الحديث، دورا رائدا في تغلغل الأفكار الإنسانية إلى الأراضي المنخفضة خاصة في قسميها الشمالي والجنوبي.

في هذه الأثناء، برزت عددا من المدن مثل: زفول Zwolle، دفنتر Deventer، جودا Gouda، لوفين Louvain، أنفرس Anvers التي أضحت مراكز هامة للتعليم، والحركة الإنسانية وطباعة الكتب.

أوّل إنساني رائد هو ردولف أجريكولا Rodolphe Agricola (1443-1485م)، لم يخف هذا الإنساني اعجابه الكبير بإيطاليا التي زارها، وهناك التقى بثيودور جازا Théodore Gaza وجيوفاني ياتستا جارينو Giovanni Battista Guarino. وفي إيطاليا أيضا، حقق أجريكولا نجاحات فائقة سواء في المجالات الأدبية أو التعليمية كمعلّم هناك. لكن كل ذلك المجد الذي بلغه لم ينسيه واجباته تجاه وطنه.

إنه سعى للبحث في المصادر الإيطالية-اللاتينية على جذور أنبتت في الأراضي المنخفضة ثقافة تميّز هذه المنطقة دون غيرها من الأصقاع الأخرى.

أما فلورانت فلورسزون Florent Floriszoon، يعود أصله إلى مدينة أوترخت Utrecht. هو أحد مرب شارل من بورغونيا Charles de Bourgogne، الذي أصبح فيما بعد شارل الخامس Charles Quint. درس في فلورسزن في جامعة لوفين Louvain، سنة 1522م توّلى العرش البابوي وحمل منذئذ اسم أدريان السادس Adrien VI. لكن يبقى القول أن أشهر الإنسانيين الذي مثّل هذه المنطقة الشمالية من أوروبا هو ديديي إيرازم الذي لقب 'بأمير الإنسانيين" وسيأتي الحديث عنه لاحقا.

خلاصة القول أن الحركة الإنسانية في منطقة الأراضي المنخفضة كنت دينية في جوهرها، لكن الإنسانيين هناك وجدوا دعما كبيرا من شريحة العلمانيين، هؤلاء قد ثاروا على مؤسسة الكنيسة إنهم رأوها منشغلة كثيرا بالأمور الزمنية على حساب الصلاحيات المنوطة بها. في إطار هذه الثورة الفكرية أيضا، تمّ في منطقة لوفين سنة 1517م تأسيس ما يسمّى Collegium Trilingue، وقد شارك في عملية بناء هذا الصرح إيرازم نفسه. في الواقع، تعنى هذه المؤسسة العلمية الهامة بدراسات اللّغات والمقصود بها: اللاتينية، الإغريقية والعبرية. وفي إطار هذه الحركة الفكرية الزائدة، ساهم عدد من مطبعيين مثل: تيري مارتنز Thierry Martens، الذي كان يقيم في أنفرس ثم انتقل إلى لوفين، وآخرين في تعريف أوروبا بالإنتاج الفكري المحلي وكذلك بما جادت به قريحة الإنسانيين الأجانب أيضا.

3-الحركة الإنسانية في المناطق الجرمانية:

بلغت الحركة الإنسانية في المناطق الجرمانية خلال السنوات الممتدة من 1490 إلى 1520م مستوى مشرفا. في هذه الفترة برزت بعض المدن بالخصوص كولونيا Cologne، أوجسبورج Augsbourg، ماينز Mayence، ستراسبورغ Strasbourg وسلسّات Sélestat في منطقة الألزاس كمراكز بارزة تضم مطبعيين إنسانيين لامعين منهم بالخصوص أمرباش Amerbach وفروبن Froben، هؤلاء وآخرين، عكفوا على طبع ونشر عدد كبير من الكتب القديمة وكذلك الإنجيل وكتابات آباء الكنيسة. من جهة أخرى، أسهمت الجامعات بالخصوص، جامعة كولونيا، جامعة إرفورت Erfurt وجامعة بال Bale، بشكل زائد في هذه الحركة العلمية التي شهدها العصر الحديث.كما برزت أيضا "مدارس لاتينية" في عدّة مناطق كذلك التابعة لجاك ومفلنج Jacques Winpheling في سلسّات Sélestat. كما تأسست أيضا في عدد

من مدن الإمبراطورية تجمعات تضم عددا من الأشخاص تسمى Sodalitates Litterariaeيجمعهم حب مشترك للآداب.

وفي عدد من المدن الحرة كنورمبورج Nuremberg تمركزت نخبة من الفنانين، علماء وإنسانيين منهم ألبرت دورر Albert Durer، ولبالد بركخيمير Willibald Pirckeimer وغيرهما من العلماء الآخرين.

أما أولرخ زازيوس Ulrich Zasius وهو رجل قانون شهير، يعود له الفضل في انتشار القانون الروماني في المناطق الجرمانية. وفي مدينة شتوتجارت Stuttgert، برز الإنساني الشهير حنا روخلين Jean Reuchlin، مستشرق وفقيه في اللّغة العبرية، صاحب عدّة مؤلفات منها: De Verbo Mirifico وغيرها من الكتب الأخرى.

4-الحركة الإنسانية في أوروبا الوسطى:

ابتداء من النصف الثاني من القرن 15م، فإن نسمات الحركة الإنسانية بلغت كل من المجر، بوهيميا وبولونيا.

يبدو أن التأثير الإيطالي في هذه الأصقاع كان حاسما، مردّه إلى طلبة بعض المناطق في هذا الجزء من أوروبا، بالخصوص بودا Buda وكراكوفي Cracovie الذين تنقلوا للدراسة في بعض المدن الإيطالية منها: فيراري Ferrare، بولونيا Bologne وبادوا Padoue. بعد استكمال دراساتهم، عاد هؤلاء الطلبة إلى ديارهم وفي جعبتهم أفكارا وأنماطا جديدة للحياة لم تكن معروفة لديهم من قبل.

-المجر:

لكن، على الرغم من ذلك التأثير الإيطالي الملموس في هذه الدول، إلاّ أن الحركة الإنسانية بها قد تلوّنت بالمميّزات الخاصة بكل واحدة من هذه الدول.

استقطبت المجر منذ بداية القرن 15م عددا من التجار الإيطاليين، تحديدا من فلورانسا منهم: لوكادل باشيا Luca Del Pecchia، فليبو بيوندلمونت سكولاري Filippo Buondelmonte Scolari المعروف باسم بيبوسبانو Pippo Spano. فرض هذان التاجران نفسيهما في بلاط الملك سجسموند Sigismond. وعرف عن فليبو أيضا، زيادة عن براعته في المسائل التجارية، تمكّنه في الأمور الإدارية أيضا كما كان يرعى الآداب أيضا. بفضل هذه القدرات العالية، فإنه جعل من بلاط العاصمة بودا Buda مركزا للبهاء والرونق أيضا.

مع تولي الملك ماثياس كورفين Matthias Corvin (1458-1490م)، عرش مملكة المجر، زاد الوضع تطوّرا، ذلك أن الملك الجديد أحاط نفسه بأحسن المستشارين السياسيين، الأدباء البارعين وأكبر الفنانين.

أحاط ماتياس الإنسانيين بكل الرعاية التي تليق بمقامهم، وهو ما أثمر بتأليف الكثير من الكتب الأدبية وكذلك تحقيق إنجازات فنية رائدة. في هذا السياق يعد مستشاره جانوس فتاز Janos Vitéz (1408-1482م) أوّل إنساني في المجر، إنه وبالإضافة لمهامه السياسية، تولى مرتبة دينية أيضا. درس الإنسانيات والقانون في إيطاليا، وقبل مغادره البلاد، ترك في ميلانو Milan، بجانب عائلة فيسكونتي Visconti العريقة، رجل اسمه جانوس هونيادي Janos Hunyadi والذي أصبح فيما بعد قائدا عسكريا بارزا برع في الحروب ضد الأتراك العثمانيين.

كما سمح جانوس فتاز لبعض الشبّان من النبلاء بالبقاء في بولونيا Bologne من أجل الحصول على تكوين عالي في مجال القانون، الذي اشتهرت به هذه المدينة الإيطالية دون سواها.

عرف فتاز أيضا إلى جانب ضلوعه في الميدان الدبلوماسي، بشغفه الكبير لجمع الكتب، إنه شجع ودعم أولى عمليات نشر الكتب في المجر. حتى الملك ماثياس نفسه كان مولعا بالكتب أيضا، إنه كوّن مكتبة شخصية هامة سميت كورفينيانا Corviniana –نسبة إلى اسمه كورفين، وتحمل تلك الكتب تجليدا غاية في الجمال ومثيرة للإعجاب، ولا زالت تحتفظ بها المكتبة الجامعية في مدينة بودابست Budapest.

وبرز في عهد ماتياس أيضا إنساني آخر اسمه جانوس بانونيوس Janos Pannonius (1434–1472م)، أسقف "الكنائس الخمس"، ساهم بشكل لافت في بروز مكتبة كورفينيانا، بفضل هذا الإنساني تغلغل التيار الأفلاطوني الجديد في المجر. ممّا اشتهر به قصيدته الشعرية التي تتحدث عن الحب، استوحاها من شعراء الرّثاء كما أنه تأثر اللاتين ببترارك Pétrarque أيضا.

من الأقلام الأخرى جاليوتو مارزيو دا نارني Galeotto Marzio da Narni (حوالي 1440–1494م)، وهو شاعر، مؤرخ، وهو مثل بانونيوس مولع بالثقافة الإيطالية، لكنه كان يستعمل اللّغة اللاتينية للتعبير عن أفكاره ومشاعره.

اللافت أن البلاط المجري تأثّر بكل جلي بشخصية بياتريس Béatrice من أراجونة Aragon، هي الزوجة الثانية للملك ماتياس، أصلها من مدينة نابولي Naples الإيطالية. إنّها لعبت دورا رائدا في بعث نمط وفن معيشيين ايطاليين راقيين في البلاط الملكي الذي كانت تعيش بين جدرانه. عقب وفاة هذه الزوجة سنة 1487م، أما ماتياس

فإنه غادر الحياة الدنيا سنة 1490م، أخذت مكانها آنا من فوا Anne De Foix. إن وجود فرنسية في بلاط المجر قد فتح الباب لتغلغل تأثرات الحركة الإنسانية الفرنسية في بلاد المجر.

هكذا، على الرغم من تعدد التأثيرات الأجنبية التي بلغت هذه البلاد الأوروبية، لكن الثقافة المجرية المحلية نالت بدورها نصيبا معتبرا من الاهتمام. إنّها تجلّت بشكل خاص في ميدان الشعر وكذلك الأدب الديني.

بعد فترة من النشاط الفكري، تلقت الثقافة الإنسانية في المجر ضربة قاسمة سببها إلحاق جزء كبير من المجر، ابتداء من عشرينيات القرن 16م، بالسلطة العثمانية، وأمام هذا الوضع المأساوي، فإن عددا من رجال العلم قد وجدوا ملاذا آمنا لهم في منطقة ترانسيلفانيا Transylvanie.

5-الحركة الإنسانية في بوهيميا:

في الواقع، تعود بواكير الحركة الإنسانية التشيكية إلى فترة بروز شخصية المصلح حنا هوس Jean Hus (1369-1415م) الذي حكم علية مجمع كونستانس Constance بالحرق. اعتمدت ثقافة هذا المصلح على علم الأبوية، كتب معظم مؤلفاته باللّغة اللاتينية، كما أنه حرّر مؤلفات عديدة عن مسائل العقيدة، السيمونية، باللّغة التشيكية.

وخلال القرن 15م، ظهرت عدّة شخصيات مؤيّدة لأفكار حنا هوس، منهم بيتر شلزكي Peter Chelczichy (1390-1460م). مع أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م، قام عميد جامعة براغ Prague، والمتخصص في القانون واسمه فكتورين كورنيل

أوكورنيليوس كرودننسيس Viktorin Kornel–Cornelius Chrudenensis (1460–1520م).

ومن الإنسانيين أيضا، جريجور جالنيوس Gregor Galenius من براغ، إنه قام بترجمة أو التعليق على كتابات الخطيب الروماني الشهير شيشرون Cicéron، ومؤلفات بترارك وكذلك إيرازم. أما الشاعر البارع بهوسلاس لوبكوفتز فون هاسنستاين Bohuslas Lobkowitz Von Hassenstein (1462–1510م) فإنه ترك تراثا فكريا غزيرا، كما أنه جلب أثناء رحلاته إلى إيطاليا والشرق عددا هاما من المخطوطات و، وقيل بأنه دفع قيمة مخطوط واحد عن أفلاطون ما يساوي ألف دوقة.

كما أنجبت الحركة الإنسانية في بوهيميا شخصية بارعة أخرى، إنه يوحانس شلشتافون شرهد Johannes Schlechta Von Wschehrd (1467–1522م)، كاتبا في بلاط الملك فلاديسلاس الثاني Vladislas II، كتب حوارا سمّاه Microcosmos، أخذ على عاتقه مهّمة الدفاع عن الإنسانيين الألمان في مواجهة شعور العداوة الذي يميّز الإيطاليين.

- **بولونيا:**

يعد البولونيون أكثر الشعوب السلافية لها صلة مع اللاتين. لقبوا باسم إيطاليي الشمال"Les Italiens du Nord"، بلغت الحياة الفكرية ذروة نضجها في عهد الملك كازمير الثالث العظيم Grand Casimir III le، من بين اسهاماته في هذا المجال، بناء جامعة كراكوفي سنة 1364م، على منوال جامعة بولونيا الإيطالية. خلال القرن 15م، فإن عدّة ثقافات وجدت طريقها إلى بولونيا منها: الألمانية، الفرنسية وغيرها من الثقافات الأخرى. إن العديد من الطلبة الفقراء كانوا يسافرون إلى المدن الإيطالية منها

على وجه الخصوص: بولونيا Bologne، بادوا Padoue أو فيراري Ferrare، وكانوا يرافقون الأمراء أو رجال الدين، بصفتهم كتابا أو حملة السلاح. عند عودتهم إلى بولونيا، كانوا يساهمون أكثر من الطلبة الأغنياء، الذين عند رجوعهم يهتمون بإدارة أراضيهم أو حرفة الصيد، في نشر الأفكار الجديدة التي تلقوها أثناء إقامتهم بالخارج.

هكذا، برزت في بولونيا نخبة من الأرستقراطية الريفية الصغيرة تسمى زلاشتا Szlachta، هذه الشريحة تعد بحق جوهر الحركة الإنسانية في بولونيا. الملاحظ أن العديد من الإنسانيين البولونيين هم سياسيون أيضا منهم: خوان دلوجز Jan Dlugosz -باللاتينية لونجينوس Longinus- (1415-1480م)، صاحب كتاب Statuti Provinciali.

ضمّ بلاط الملك كازمير الرابع Casimir IV شخصية إيطالية لامعة، إنه فليبو بيوناكورسي Filippo Buonaccorsi (1437-1496م)، الملقب كاليماكو إسبريانتي Callimaco Esperiente.

لقد ذاع صيته في ربوع بولونيا، ربط علاقات مع شخصيات بارزة آنذاك كثل: لوران الوسيم Laurent le Magnifique، فسين Ficin، بوليتيان Politien، لورانزو ستروزي Lorenzo Strozzi، وهذه التأثيرات المختلفة أدّت إلى بروز تأثيرات إيطالية جلّية في الثقافة البولونية خلال النصف الثاني من القرن 15م.

جلب فليبو من إيطاليا إلى بولونيا عدّة فنانين منهم: فرانسيسكو دولالورا Francesco delle Lora وبرتلومييو بريسي Bartolommeo Berecci، كما أنه عمل على تطوير أداء الجامعة الجاجلونية، نشر أو ترك أيضا في شكل مخطوطات العديد من الكتابات الشعرية، التاريخية والسياسية، برز فيها العقل الميكيافيللي قبل الأوان.

خلال العقود الأولى من القرن 15م، ظهر عدد من الإنسانيين من بينهم: جوهانس سومرفيلد Johannes Sommerfeld من كراكوفي، لورانتيوس راب أو كورفينوس Laurentius Rabe أو Corvinus (1462–1527م) من بريسلاو Breslau، وهو صديق العالم كوبرنيك Copernic.

لكن في الواقع، بلغت الحركة الإنسانية أوّج عطاءها مه بداية القرن 16م، وأبرز من مثل هذا الجيل: شاعر الهجاء ميكولاج رج Mikolah Rej (1507–1568م)، وكذلك الشعراء الآتية أسماؤهم: كليمنز جانيكي Clemens Janicki (1516–1543م) وبالخصوص جان كوشانوفسكي Jan Kochanowski (1530–1584م).

- **شبه جزيرة إبيريا:**

يعد الكاردينال فرانسيسكو كزيمنيس سسنروس Francisco Ximenes Cisneros أبرز الإنسانيين في شبه جزيرة إبيريا. أسس سنة 1509م جامعة ألكلا دا هناريس Alcala de Henares التي أصبحت بعد فترة قصيرة من أشهر المراكز العلمية في كال أوروبا.

تستخدم في هذه الجامعة اللّغات الثلاث بمساعدة علماء إسبان، إيطاليين أو إغريق، فإنها تعمل على التجديد في مجال الدراسات اللاهوتية بالاستناد على النصوص الأصلية.

سنة 1504م، فكّر الكاردينال سسنروس في تجسيد مشروع ضخم تمثل في نشر طبعة كاملة لكتاب الإنجيل باللّغات العبرية، السريانية، الإغريقية واللاتينية. لكن وفاته التي حدثت سنة 1517م إضافة إلى أحداث أخرى حالت دون أن يرى هذا المشروع النور.

لكن لم تمر فترة طويلة حتى تحقق حلم الكاردينال المقبور، ذلك أن سنة 1522م، عرض الإنجيل المتعدّد اللّغات لألكالا، والذي سمي Complutensis للبيع.

هكذا، ظهرت في شبه جزيرة إيبريا حركة دينية غير مسبوقة وذلك من أجل تجسيد التجديد الديني والثقافي على سواء، وكان وراء هذا النشاط الضخم عدد من رجال الدين اللامعين في الساحة آنذاك منهم: أسقف مدينة طليطلة Tolède واسمه ألفونسو فونسيكا Alfonso Fonseca، ومطران مدينة إشبيلية Séville الذي كان في نفس الوقت محققا عاما في محكمة التفتيش إنه ألفونسو منريك Alfonso Manrique. في حين أن اللاهوتيين مثل: لويز نوناز كرونل Luis Nunez Coronel، خوان وفرانسيسكو دوفراجارا Juan et Francisco de Vergara وكذلك خوان مالدونادو Juan Maldonado فإنهم وخلال سنوات 1516م–1520م قد أيّدوا أفكار إرازم.

وخلال هذه الفترة أيضا من العصر الحديث، برزت في إسبانيا شريحة من المتزهدين الذين عكفوا على قراءة الأناجيل المختلفة وكذلك رسائل التقوّية، يسمى هؤلاء باللّغة الإسبانية ألمبرادوس Alumbrados بمعنى "المنوّرين"، لا يؤمن هؤلاء بأسرار الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، لقد أعلنت ضدهم هذه الأخيرة حربا شعواء كما حاربت اللوثريين والهرطقات الأخرى.

إن ما يميّز الحركة الإنسانية في إسبانيا هو الطابع الأدبي والديني لها. في هذا السياق برز خوان لويز فيفاس Juan Luis Vivès (1492–1540)، أصله من فالنس Valence، أحد أتباع وصديق إيرازم.

اهتم الإسبان أيضا بفقه اللّغة، ولإن أبرز من مثّل هذا الفرع الهام في الدراسات الإنسانية، أنطونيو من نبريجة Antonio de Nebrija (1444–1532م) وهو مختص في اللّغة والأدب الإغريقيين. أولى الإنسانيون في هذا الجزء من أوروبا كما الأصقاع

الأخرى أهمية بالغة لجمع الكتب والمخطوطات القديمة النادرة. ومن هؤلاء خوان من هرديا Juan de Heredia، لكن يظل نوناز من جوزمان "أكثر مهوس بجمع الكتب" على حد تعبير أحدهم.

في هذه الفترة أيضا شهدت عملية بناء الجامعات وتيرة سريعة. سنة 1485م، أسس الأسقف خوان لوبيز من مدينة Juan Lopez de Media جامعة في سجنزا Siguenza، مع بداية القرن السادس عشر الميلادي فإن عددا من هذه المؤسسة التعليمية العليا قد عرفت إشعاعا حقيقيا، منها جامعة سنتياغو دوكمبوستل Santiago de Compostela، جامعة إشبيلية Séville وجامعة سراقوسة Saragosse.

في مدينة تراجونة Tarragone، اهتم المطران والإنساني أنطونيو أغسطين Antonio Agustin بولع كبير بعلم الآثار. أما الصقلي لوكا مارينيو Luca Marineo ونبرجا Nebrija فإنهما يعدّان بحق مصلحين للآداب اللاتينية في إسبانيا.

انطلق لوكا من صقلية على رأس الأسطول الذي قاده الأميرال فدريكو هنريكيز Federico Henriquez سنة 1484م، درس لمدّة خمس عشرة سنة في جامعات سلامنك Salamanque وبورجوس Bourgos، ولمدّة خمس وثلاثين عاما بصفته كان مؤرخا لفرديناند الكاثوليكي Ferdinand وشارل الخامس Charles Quint.

ترك لوكا انتاجا تاريخيا غزيرا، من مؤلفاته: De Laudibus Hispaniae (1503م) و De Primis Aragoniae Regibus (1509م) إضافة إلى كتب أخرى.

واستفادت إسبانيا أيضا من معارف إيطالي آخر اسمه بيترو مارتير دانجيرا Pietro Martire d'Anghiera (1459-1526م)، تولى منصب سفير لدى الملكين إيزابيلا Isabelle وفرديناند Ferdinand. إنه نشر في البلاط الثقافة الكلاسيكية، حضر عودة كريستوف كولومب Christophe Colomb من رحلاته "الاستكشافية" وأصبح

صديقا له. ترك مارتير مؤلفات شهيرة منها: "عشارية تاريخية"، "أناشيد وأشعار مختلفة" وغيرها من الكتابات الأخرى. في هذه الفترة أيضا، توّطدت العلاقات بين إسبانيا وإيطاليا بشكل أوسع وهي في الحقيقة امتداد طبيعيا للروابط الثقافية التي كانت تربط المنطقتين على امتدادا القرن 15م.

في هذا الإطار، قام السفير البندقي واسمه نفاجيرو Navagero، بتعريف إسبانيا بكنوز الشعر الملحمي الإيطالي.

من الأسماء اللامعة ايضا في مجال الشعر الغنائي برع اسم خوان دولا أنسينا Juan de la Encina.

- **البرتغال:**

الملاحظ أن الحركة الإنسانية في البرتغال سارت ببطئ مقاربة بإسبانيا. حتى أن البرتغالي في القرن الخامس عشر الميلادي كان مرادفا للجاهل. يعد القرنان 15 و16م مرحلة مفصلية في تاريخ البرتغال، فخلال هذه الفترة بزت ثلّة من الإنسانيين البرتغاليين اللامعين منهم: لويز تكسيرا Luis Texeira الذي كان يتراسل بانتظام مع إيرازم، هنريك كايادو Henrique Caiado، مريدي بوليتيان Politien وفي نفس الوقت صديق العالم كوبرنيك Copernic.

مع الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي كان يتمتع به البرتغال، فإن أغلب طلبته كانوا يتوّجهون نحو الجامعات الأجنبية، بالخصوص تلك الموجودة في فرنسا، إسبانيا، الأراضي المنخفضة – مدينة لوفين Louvain– إنجلترا– إلى أكسفورد وكمبردج. وفي عهد حنا الثاني Jean II، اتخذت هذه الهجرة، وجهة إيطاليا. أما في ولاية الدوم مانويل Dom Manuel فإن الأفضلية كانت للجامعات الفرنسية. كما استقطبت مدينة لوفين

عددا آخر من الباحثين منهم: دياجو دو مورسا Diago de Murça وبراس دو براجا Bras de Braga وغيرهم من طلاّب العلم.

من الفنون التي كانت تلقى اهتماما منقطع النظير من البرتغاليين يجب ذكر، القانون، الطب، الفنون، البلاغة، الموسيقى، الرياضيات. ومع بداية القرن 16م، تطوّر في البرتغال ما يسمّى بالأدب المحلي الخالص بعد فترة اعتمد فيها الأدباء البرتغاليون على تقليد الأدب الإيطالي.

- **إيرازم من روتردام Rotterdam**

يعود أصل إيرازم Erasme إلى هولندا، ابن بيولوجي لأحد القساوسة، أما والدته فهي ابنة أحد الأطباء.

تاريخ ميلاده غير معروف، ومن المحتمل أنه ولد في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر سنة 1467 أو 1466 وقيل أيضا سنة 1469. وقدر أيضا أن اسمه الأصلي هو جيرارت Gerrhart. لم يكن إيرازم يتمتع بصحة جيّدة. اشتهر في التاريخ باسم: Desiderius Erasmus Roterodamus. توفي والده جراء وباء الطاعون.

تردد هذا الشاب الهولندي على عدّة مدارس منها: مدرسة بيتر ونكل في جودا Peter Winckel à Gouda، ثم انتقل إلى مدينة أوترخت Utrecht، وفي سن التاسع أو العاشرة من عمره التحق بمدرسة "إخوة الحياة المشتركة" الواقعة في دفنتر Deventer. جدير القول أن هذه المدرسة أصبحت في الفترة الممتدة من 1480 إلى 1483م، من المراكز الأولى في الحركة الإنسانية في كامل منطقة الأراضي المنخفضة وهذا بفضل المجهودات الجبارة التي بذلها أحد الأساتذة الذين مرّوا بها واسمه هجيوس Hegius. وفي هذه المدرسة عمل الأساتذة جاهدين لإيجاد تناغم بين تدريس الآداب

الإغريقية، اللاتينية والديانة المسيحية، قد تم تصنيفها من كل ما علق بها من مطبّات تعود إلى فترة العصر الوسيط.

بعد وفاة والديه، منحت وصايته لثلاث أشخاص سارعوا لإرساله إلى منطقة بوا لو دوك Bois – Le– Duc للالتحاق بمدرسة دون المستوى وبالية، وقد أعلن إيرازم بأنه "ضيّع وقته" في هذه المؤسسة.

فرارا من وباء الطاعون، عاد إيرازم إلى جودا Gouda. سنة 1487م، التحق بدير الكهنة القانونيين الأوغسطنيين الواقع في منطقة ستاين Stayn.

لكنه كان شغوفا جدّا بدراسة الكتابات الكلاسيكية، كما أنه أخضع "الأناقات اللاتينية" التي ألّفها لورانزو فالا Lorenzo Valla للقراءة والتمحيص. في نفس الوقت، اهتم إيرازم بتأليف أشعار باللّغة اللاتينية.

رفع إيرازم إلى مصاف كاهن يوم 25 أفريل سنة 1492م، بعدها غادر مدينة ستاين وأصبح كاتبا لدى أسقف مدينة كومبري Cambrai واسمه هنري دو برجن Henri de Bergen، بعدها انتقل إلى باريس وذلك أواخر صيف سنة 1495م.

في البداية كان طالبا داخليا في كوليج منتجو Montaigu الواقع على جبل القديسة جنفياف Montagne Sainte–Geneviève، الذي كان يديره الراهب المصلح جان ستاندونك Jan Standonck.

غادر إيرازم باريس في ربيع سنة 1496م، على خلفية وعكة صحية أصابته، عقب ذلك قرّر أن يصبح "رجل آداب". عاد مجدّدا إلى كومبري، أقام لفترة في هولندا، هناك تم الاحتفال به بكونه إنسانيا. وفي فصل الخريف، عاد مجدّدا إلى مدينة باريس، حيث عاش بشكل مستقل وذلك بأن أخذ يعطي دروسا في النحو والأدب لأبناء العائلات الراقية. كتب لأجلهم كتابات وجيزة في المحادثة المألوفة، وقد حرّرها باللّغة اللاتينية.

عاد مجدّدا إلى هولندا خلال صيف سنة 1498م. هناك عاتبه أصدقائه في ستاين بأنه كان يحيا في باريس حياة متحّررة كثيرا. في شهر ماي سنة 1499م حطّ مجدّدا بالعاصمة الفرنسية، مع تلميذه واسمه وليام بلونت William Blount، خلال هذه المناسبة أخذه لورد مونتجوي Mountjoy، برفقته إلى إنجلترا.

ذاع صيت إيرازم قبل أن يحل بهذه الجزيرة. منذ إقامته الأولى هناك، في صيف وخريف سنة 1499م، التقى إيرازم بشخصيات نافذة، بالخصوص توماس مور Thomas More، الذي سيصبح أعز أصدقاءه، تعرف أيضا على اللاهوتي المصلح في أكسفورد واسمه جون كوليت John Colet، وكذلك وريث العرش الأمير هنري Henri. وعند عودته إلى القارة، سنة 1500م، تجلّى وبشكل نهائي خط حياته الذي لن يحيد عنه بعد الآن، نهجه الأدبي، وفي هذا المجال نشر الطبعة الأولى "للأمثال" Adages، تضم ثمانمائة من الأمثال الإغريقية–اللاتينية مع التعليق عليها، أما نهجه الثاني فهو لاهوتي، وبصفته هذه نشر Enchiridion أو "موجز الجندي المسيحي"، وقد صدر في مدينة أنفرس Anvers سنة 1503م، يتضمن هذا التأليف أفكارا تتناغم مع روح الإصلاح الداخلي للكنيسة. في هذا السياق الديني، كان لقاءه مع كوليت والفرنسيسكاني حنا فتريي Jean Vitrier من القديس أومير Saint– Omer يعد علامة فارقة في التكوين الديني لإيرازم. إنه دعا إلى حياة إنجيلية مطلقة ومسيحية حقيقية. نادى لضرورة محاربة الشهوات وكذلك "الإنسان الخارجي".

حسب إيرازم، يجب أن يكون "المسيح" والفضائل التي يعدّ المثل الحي لها هو الهدف الذي يصبو إلى وصوله كل مسيحي في هذه الحياة. في غضون ذلك، استقرت هذه الشخصية الهولندية في مدينة لوفين، هناك عمل دون كلل أو ملل لإتمام أول ترجماته من اللّغة الإغريقية.

في شهر جانفي سنة 1504م، تنقل إيرازم إلى مدينة بروكسل Bruxelles، أين عرض أمام مجلس ضم شخصيات لامعة، "مدحه" لفيليب الوسيم، وهذا بمناسبة عودة هذا الأمير من إسبانيا.

خلال فصل الصيف من نفس السنة، عثر إيرازم في دير قريب من مدينة لوفين على مخطوط ثمين للغاية، صاحبه هو الشخصية الشهيرة لورانزو فالا Lorenzo Valla، تضّمنت هذه التحفة النادرة اقتراح لهذا الأخير من أجل إدخال التصحيحات على الترجمة اللاتينية للكتاب المقدّس وذلك عن طريق مقابلتها بالنسخة الإغريقية.

في أواخر نفس السنة، توّجه نحو باريس، تراوده الرغبة في التوفيق بين "الآداب الجميلة" واللاهوت حسب منظور لورانزو فالا.

مع أواخر نفس السنة، حطّ إيرازم الرحال مجدّدا في إنجلترا، أين التقى مجدّدا بأصدقاءه الإنجليز، أقام بعض الوقت عند مونتجوي، كما تردد على المتخصصين في اللّغة والأدب الإغريقيين منهم ليناكرLinacre، جروسين Grocyn، لتيمر Latimer وتونستال Tunstall.

تعرّض إيرازم خلال ربيع سنة 1506م، لأزمة أخلاقية حادة وفي الوقت ذاته كان تفكيره كلّه منصبا على زيارة إيطاليا، أرض أحلامه.

في هذا الوقت تحصل على مهمّة مرّب ومدّرس من أجل أن يرافق إلى إيطاليا أبناء أحد أطباء هنري السابع Henri VII، خلال هذه الرحلة التي طالما انتظر إيرازم وبشغف منقطع النظير، اضطر للتوقف بمدينة باريس أين التقى بأسونسيوس الذي أشرف على طبع كل ما سلمه إياه هذا الهولندي منها: ترجمة لوسيان Lucien، أوربيد Euripide، أشعار، طبعة جديدة "للأمثال" وغيرها من الكتابات الأخرى.

في شهر أوت، واصل رحلته، اجتاز الألب Alpes، مرة أخرى يتعرض لحالة من الكآبة الحادّة، إنه أحس فجأة بأنه عجوز ويقترب من الموت.

نال دبلوم الدكتوراه في اللاهوت من جامعة تورين Turin، لجأ إلى فلورانسا Florence في الوقت الذي كان فيه البابا جول الثاني Jules II، حليف الفرنسيين، يشن الحرب على بولونيا Bologne. وبعد دخول البابا منتصرا إلى المدينة في الحادي عشر نوفمبر، التحق إيرازم بمدينة بولونيا، يعمل دون كلل أو ملل، وترك لفترة مؤقتة لباس الراهب.

في شهر أكتوبر سنة 1507م أقام في البندقية عند ألد مانوس Alde Manuce وأخذ يتردد على الأكاديمية الألدنية، ويعمل في نفس الوقت على نشر طبعة جديدة لأمثاله، والتي رأت النور في شهر سبتمبر سنة 1508م عند هذا المطبعي الكبير مانوس، وقد انتقل عددها من ثمانمائة مثل سنة 1500 إلى 4151 مثل.

ومن جانب آخر، أخذ إيرازم يدرس وبكل جدّية الممكنة اللّغة الإغريقية مع من لسكاريس Lascaris، مسوروس Musurus وأليندر Aléandre. في شهر ديسمبر سنة 1508م، تم نشر ترجماته أو دراساته عن: بلوت Plaute، ترانس Térence، سنيك Sénèque، أفلاطون Platon، بلوتارك Plutarque، بندار Pindare، بوزانياس Pausanias.

في مدينة بادوا Padoue، اهتم إيرازم بتعليم الشاب ألكسندر ستووارت Alexandre Stuart، الابن البيولوجي لملك إيكوسيا واسمه جاك الرابع Jaques IV.

انتقل إيرازم إلى مدينة سيان Sienne، ثم زار روما وهناك حظي إيرازم بحفاوة الاستقبال من طرف الكرادلة والكهنة أيضا.

في شهر ماي سنة 1509م، أصّر منتجوي Mountjoy على إيرازم بأن يعود إلى إنجلترا، حيث حظي برعاية خاصة من الملك الجديد هنري الثامن Henri VIII، نفس المعاملة تلقاها إيرازم من لدن فارهام Warham، مطران كنيسة كونتربري Cantorbéry في إنجلترا. على الطريق المؤدية به من إيطاليا إلى إنجلترا، فإنه تصوّر وهو على صهوة حصانه محتوى الكتاب الذي سوف يضمن له الخلود واسمه Encomium Moriae أو مدح الجنون Eloge de la folie، إنه حرّر هذا العمل المهم للغاية في ظرف أيام قليلة في أواخر سنة 1509م، في منزل صديقه مور More في مدينة لندن، وقد أهدى لهذا الأخير عمله ذاك. أوّل طبعة لذلك العمل كانت في شهر أوت سنة 1511م، ولم تمر فترة طويلة حتى ذاع صيتها في كل مكان.

إنه عمل ضخم في الحقيقة، لقد أعيد نشره العديد من المرّات، تم ترجمته إلى حوالي ثلاثين لغة. إن هذا التأليف إضافة إلى ما تضمّنه من نقد لاذع للعادات وكل أنواع جنون البشر، يحتوي على حكمة عميقة تمثلت في عقد مصالحة بين سقراط، سليمان والمسيح. إنه يعترف للإنسان بمكانته الفريدة والسامية في الكون.

عقب رحلة قصيرة إلى باريس عام 1511م، عاد إيرازم في شهر أوت مجدّدا إلى إنجلترا. وخلال إقامته في لندن أصيب إيرازم بوعكة صحية، وبعد تعافيه منها، استقر في كومبردج، وهناك أخذ يدّرس اللّغة الإغريقية واللاهوت أيضا. كما أنه أخذ يحضر لطبعة جديدة "للعهد الجديد" من خلال النص الإغريقي، وهو العمل الذي أثار ثورة حقيقية في العقول ومجادلات تواصلت حتى بعد ظهور الإصلاح الديني. عمل إيرازم أيضا على نشر طبعة عن القديس جيروم Saint-Jérôme.

في هذه الأثناء، عاد الوباء للظهور مرّة أخرى، في وقت كانت فيه فرنسا وإنجلترا ف حرب، رغم هذه المآسي، فإن إيرازم أخذ مع بداية سنة 1513م يعمل لإخراج مؤلفه

اللاهوتي والأدبي في ذات الحين عقد علاقات غير مباشرة مع المطبعي السويسري، تحديدا من بال Bale، واسمه حنا فروبن Jean Froben. في شهر مارس من نفس السنة، كتب وهو في لندن إلى رئيس دير القديس برتان Saint-Bertin عن موضوع "مساوئ الحرب".

في شهر جويليا سنة 1514م، تم التوقيع على السلم بين إنجلترا وفرنسا، وقد استغل إيرازم فترة الهدوء هذه وعاد إلى القارة، وفي جعبته عدد من المخطوطات الثمينة. وفي أواخر هذا الشهر، نزل بالأراضي المنخفضة الجنوبية.

إذ تنقل إلى جامعة لوفين، وعبر الراين توّجه إلى مدينة بال، تم استقباله كالأبطال من طرف الإنسانيين الألمان. وفي شهر أوت حط رحاله بمدينة بال. إنه أسس بذلك علاقات صداقة قوّية مع فروبن Froben، الذي توّلى مهمة نشر أغلب كتاباته.

وخلال رحلة إيرازم القصيرة إلى إنجلترا سنة 1515م، عاد منها وهو يحمل ترجمة مخطوطة "للعهد الجديد". عاد إلى الأراضي المنخفضة الجنوبية مع بداية سنة 1516م، حصل أثناء ذلك على دخل الكاهن القانوني في كورتري Courtrai، والتقى أثناء هذه المناسبة في مدينة أنفرس بصديقه بطرس جيلس Pierre Gilles، وأصبح مستشارا لشارل Charles، الذي توّلى مملكة إسبانيا.

في هذه الأثناء كتب مؤلفه الشهير في الفلسفة السياسية سمّاه L'Institution du Prince Chrétien وهو موجز إنجيلي يتناول فيه "حرفة الملك".

لكن، شهرة إيرازم ازدادت أكثر بنشره، عند فروبن Froben، لما سمي "بالعهد الجديد"" وقد أهدى نسخة منه للبابا الذي بعد واحدا من الإنسانيين أيضا اسمه ليون العاشر Léon X. إنه قطع الحبل مع الترجمة اللاتينية للإنجيل والمعروفة باسم Vulgate وكذلك مع القديس جيروم.

أدخل إيرازم في ترجمته الجديدة مصطلحات مستوحاة من فقه اللّغة مرتبطة بنوايا إصلاحية، لكن توّجهه هذا جلب له حقدا كبيرا من الرهبان واللاهوتيين المحافظين وأكثر من ذلك مشاكل جادّة مع كليات اللاهوت آنذاك بالخصوص في باريس ولوفين.

يعد نشره لنسخة الإنجيل فصلا في مشروعه الكبير عن "فلسفة المسيح"، إنه وضع في الواجهة "حب المسيح وحده دون أي أمر آخر".

مع بداية سنة 1517م، أعفاه البابا من حمل رداء الراهب، وضمّن له الإبقاء على الفوائد التي كان يتلقاها على الرغم من ولادته الغير الشرعية. أقام إيرازم لفترة في بروكسل، وكذلك في أندرلخت Anderlecht، في كوند Gand وأنفرس. في شهر فيفري من نفس السنة، فإن الملك فرانسوا الأوّل François I^{er} الذي كان يخطط لتأسيس كوليج إنساني ما سمي في المستقبل كوليج فرنسا Collège de France، سعى أيضا لجلب إيرازم إلى فرنسا، من جهته فإن برخايمر Pirckheimer رغب أن يكون هذا الهولندي في نورمبورغ Nuremberg. لكن إيرازم فضّل الحرية.

في شهر أفريل، قام برحلة صيرة إلى إنجلترا، ومع بداية الصيف، فإنه رافق شارل الخامس الذي غادر الأراضي المنخفضة متوجها إلى إسبانيا. لكن إيرازم قرّر في شهر جويليا بأن لا ينتقل إلى إسبانيا، بأن قرّر الإقامة في لوفين حيث بقي أربع سنوات. حضي هناك باستقبال حار من طرف الإنسانيين ذوي الفكر الإنساني، وتم خلالها استحداث كوليج ثلاثي اللّغة. في ماي سنة 1518م، انتقل إلى بال من أجل العمل لتحضير نسخة جديدة "للعهد الجديد" وأعمال أخرى. خلال سبتمبر من نفس السنة، انتقل إيرازم إلى لوفين، وكان يعاني من وعكة صحية حادة.

وفي هذه المدينة، فإن الإنساني لتوموس Latomus أعلن عليه حربا شعواء بسبب مؤلفه اللاهوتي.

واجه إيرازم خلال سنة 1519م، صعوبات جمّة إلى حد أنه طلب الحماية من سماحة البابا، في هذه الأثناء سعى المصلح الألماني لوثير لجلب إيرازم إلى صفه لكن دون جدوى.

المحاضرة 02: النهضة وعوامل قيامها

النهضة في بولونيا:

لقد التحقت بولونيا بركب النهضة منذ وقت مبكر وكغيرها من الدول الأخرى، ساهمت الطبقة البورجوازية بشكل لافت في حماية ودعم التيارات الثقافية المختلفة، جنبا إلى جنب مع شريحة النبلاء.

جدير القول، أن بلاطات الحكام العلمانيين كما رجال الدين وكذلك أغنياء القوم أصبحت المراكز المفضلة للتيارات الأدبية والفنية، فكان يتم على أرضها قراءة الكتب التي كانت تصدر وكذلك النقاشات المختلفة عن الحركة الإنسانية، الإصلاح الديني وكذلك ما تعلق بالمبادئ السياسية المختلفة التي كانت أوروبا مسرحا لها.

كانت الأوساط الثقافية للبورجوازية ونبلاء بولونيا في اتصال دائم مع البلدان الأوروبية المختلفة، وذلك بفضل الشباب الذين كانوا يترددون على جامعات أوروبا الوسطى والغربية أيضا، بالخصوص الجامعات الفرنسية منها: باريس، مونتبليه Montpellier وأورليان Orléans.

إن الظاهرة التي كانت منتشرة في هذه الفترة هي الرحلات الكثيرة، وذلك لأغراض دبلوماسية، علمية، فنية، كما أن أفكار الإصلاح جلبت الكثير من الأشخاص فكان هؤلاء

يزورون بلاطات الحكام، ومكتبات العلماء ودعاة الإصلاح كذلك بيوتات المصرفيين الكبار ومطابع مشهورة.

عرف عن البلاط الملكي البولوني في قصر Wawel بالعاصمة كراكوفيا، على أنه مركز مهم جدّا في الفكر والنشاط السياسي، إضافة إلى كونه مركزا فنيا أيضا. وفي فترة النهضة، كان البلاط الملكي يسطع بوجود زوجة الملك سجسموند الأول جاجلون Sigismond I Jogellon، واسمها الملكة بونا سفورزا Bona Sforza، وهي أميرة إيطاليا، تميزت بكونها انانية أيضا، مولعة بميكيافلي Michiavel وليوناردو دي فنشي Léonard de Vinci. أما ابنها، الملك سجسموند أغسطس Sigismond Auguste فإنه قرأ كتابات إيرازم Erasme وكالفن Calvin وعرف عنه جمعه لمكتبة غنية. من جهته، فإن الملك هنري من فالوا Henri de Valois والملك إتيان باتوري Etienne Batory، فإن كل واحد منهما أحاط نفسه بكتاب بارعين أشهرهم حنا كوشانوفسكي Jean Kochanowski.

على الرغم من أهمية الحواضر المختلفة التي تم ذكرها، فإن جامعة كراكوفي تظل أكبر المراكز الثقافية في كامل بولونيا. أسسها الملك كزمير العظيم Casimir le Grand عام 1364م، اعتمد في ذلك على النماذج التي توفرّها الجامعات الإيطالية بالخصوص بولونيا Bologne، بادوا Padoue ونابولي Naples خلال القرنين 15 و 16م، فإن جامعة كراكوفي قد تعرضت لتأثير كبير من الحركة الإنسانية. لقد اصطدمت الأفكار الجديدة بعلم المدرسة Scholastique.

انسانيون مشهورين زاروا جامعة كراكوفي، أمثال كونراد سلتيس Conrad Celtis، ليوناردو كوكس Leonardo Coxe، جواشيم فاديانوس Joachim

Vadianus إضافة إلى أنسانيين آخرين. بفضل هؤلاء الأساتذة وطلبة جامعة كراكوفي، فإن هذه الأخيرة أضحت في نفس مستوى الجامعات الأوروبية، بل وفي بعض المجالات العلمية، فإنها تجاوزتها.

زيادة على العاصمة كراكوفي، فإن مدن أخرى شكّلت في هذه الفترة أيضا مراكز ثقافية هامة جدّا، بالخصوص بوزنان Poznan، جدانسك Gdan'sk، وفي سنة 1594م، تأسست جامعة في مدينة زاموسك Zamosé. وفي هذا الصدد قال أحدهم: بأن أفكار العصر الوسيط كانت تحمل بذور أفكار جديدة، لكن الإضافة التي جاءت بها فترة النهضة هي، الحيوية، وكذلك دور الإنسان في العلاقات مع العالم، المجال وكذلك القوى الحقيقية للطبيعة.

لم تظهر النهضة في كل البلدان الأوروبية دفعة واحدة Simultanément. إن التغييرات التي تعود لعصر النهضة قد بدأت في الحقيقة قبل تلك الفترة. إنها أزمة المؤسسات، الأفكار والثقافة في العصر الوسيط هي من كان يشكل جذور تلك النهضة.

بلغ العصر الوسيط أوّجه، ثم إفلاس في العديد من البلدان في فترات مختلفة. لقد بدأ انحطاط العصر الوسيط في إيطاليا في بداية الأمر، وترك المجال في القرن 14م، للنهضة التي تواصلت حتى القرن 16م.

في فرنسا، إنجلترا، ألمانيا، فإن النهضة الحقيقية قد تمت خلال النصف الثاني من القرن 15م وتواصلت مع القرن 16م وهو نفس ما حدث في بولونيا. وبالنسبة للمجريين والتشيكيين فإن النهضة بدأت خلال القرن 15م.

هذه الأزمة التي شهدها العصر الوسيط قد ارتبطت بشكل كبير بأزمة الطبقة النبيلة، النظام الإقطاعي والملكية.

يعود سبب هذه الأزمة الحادة إلى ضعف المبادرة الاجتماعية التي كانت بين يدي الملكية والطبقة النبيلة لصالح قوة ناشئة والتي تمثلت في الطبقة البورجوازية.

بعدما أصبحت هذه الشريحة تسمح في الثراء، فإنها طوّرت نشاطا جديدا تمثّل في توفير الحماية للكتاب، العلماء، رجال سياسة وفنانين والدعاة لأفكار جديدة.

شهدت النهضة انتعاشا وانتشارا سريعا في البلدان التي أصبحت فيها البورجوازية طبقة اجتماعية قوية، ونشطة بالخصوص في إيطاليا، ألمانيا، الأراضي المنخفضة، انجلترا وفرنسا. في حين لم تتطور هذه الشريحة في بولونيا لذلك كانت النهضة بها بطيئة.

رغم ذلك، فإن التأثيرات الأجنبية كانت بادية في بولونيا.

من الأهمية القول، أن حركة النهضة ارتبطت بشكل وثيق ليس فقط بالرد الفعل ضد العصر الوسيط، ولكن أيضا فإنها تعود لنمو أفكار أنظمة العصور الوسطى.

كان للتأثيرات الأجنبية أثرها البارز على بولونيا، في هذا السياق فإن كتب بوكاشيو Boccace ومنها فكتوريا ديكوروم Victoria Decorum كانت متداولة لدى المؤرخ البولوني حنا دلوجز Jean Dlugoz ومن الإنساني زجورز سانوك Grzegorz Sanok وهو مطران مدينة لفوف lwow، كما تداولها أيضا فيليب كاليماك بيونا كورسي Philippe Callimaque Buonacorsi أصله من إيطاليا، لكنه سرعان ما تم نفيه من مدينة روما، وبعد مغادرته لهذه المدينة، فإنه لجأ إلى البلاط الملكي للملك كازمير جاجلون Casimir Jagellon وبقي هناك حتى بعد تولّي ابن هذا الأخير واسمه حنا أولبراخت Jean Olbracht، عرش مملكة بولونيا.

وفي سياق التأثيرات الغربية على بولونيا، فقد كانت تباع في جامعة كراكوفي، حسب شهادات العصر، الكتب التي ألفها المصلح الألماني لوثير Luther وكذلك تلك التي كتبها عدد من الإنسانيين الألمان، لكن يبقى إيرازموس Erasme من روتردام Rotterdam أكثر المتاب أهمية بالنسبة للمثقفين في بولونيا.

شهدت بولونيا أيضا، تغلغل الأفكار السياسية التي نادى بها ميكيافيلي Michiavel، كما عرفت طريقها إلى هذا البلد الأوروبي أيضا الهندسة المعمارية التي ميّزت فترة النهضة.

من الملاحظ أن، على الرغم من تفاعل العناصر الأجنبية بأخرى وطنية ومحلية، وهو الأمر الذي أوجد أوجه التشابه بين مختلف النهضات الأوروبية، لكن كل دولة أوروبية تميّزت بعضها البعض بمميزات خاصة بكل واحدة منها.

يرى الفقهاء المختصون في اللّغة الذين عاشوا في عصر النهضة بأن المقصود بهذه الظاهرة الأخيرة، الرجوع إلى الفترة القديمة، الإعجاب بالعالم القديم، وكذا بالعقل النقدي للنصوص اللاتينية والإغريقية. بالنسبة للمؤرخ لبسزي (ك.) (.K) Lepszy فإن هذا المعنى ضيق جدّا. خلال العصور الوسطى فإن العقل النقدي كان يشهد نموا بطيئا ومحتشما وذلك بسبب ما وجده من تشدد واللاتسامح الذي طبع الكنيسة آنذاك. وإن دراسة النصوص ذات الطابع العلماني والتي تعود إلى العصر القديم، بإمكانها المساهمة في الاكتشاف، على عكس الفكر الذي كان سائدا في العصر الوسيط، عالم مختلف، عالما علمانيا، صاف، تحكمه آلهة مختلفة. وعليه، فإن الاتصال بهذا العالم يعد نوعا من الفرار الذي غزا كل مناحي الحياة الفردية والاجتماعية.

أشار العالم الفرنسي الشهير لوسيان فيفر Lucien Févre، في كتابه عن لوثير لثورة هذا الأخير ضد الرب المرعب. لقد أعلنت النهضة القطيعة مع التهديد، الذي كان يستخدمه اللاهوت في متابعته لإنسان العصر الوسيط حتى بعد وفاته. النهضة هي الفرار نحو العالم العلماني، دورا بارزا في تحقيق التحوّل وكذلك حرية الإنسان في هذا الإطار، هيّأت النصوص اللاتينية والإغريقية الإنسانية للتفكير النقدي الذي تعتبر النهضة رد فعل على النظام القائم في العصور الوسطى، وأيضا ضد عقله السلطوي وطريقته في التفكير، ومن خلال هذا التعريف يمكن استخلاص ثلاث مظاهر ميّزت فترة النهضة وهي: علمانيتها وهي نقيض الفكر اللاهوتي، نقديتها، وعودتها البطيئة ولكن الدائمة نحو العقلانية.

أما الحركة الإنسانية، فإنها تعد الرجوع لمعرفة الإنسان الحقيقي، هيكله، قدراته الفكرية وموقفه من العالم الذي يحيط به. إنّها تيار النخبة المثقفة والتي تعيد الطريق للثورة الكبرى المتمثلة في النهضة.

الإنسانيون البولونيون:

ساهمت النهضة البولونية بشكل لافت في التاريخ العالمي للحضارة. في هذا السياق، يحتوي متحف جامعة كراكوفي Cracovie على أدوات نفيسة منها: الأصناف المختلفة للإسترلاب، كرات، وأدوات فلكية تعود لأواخر القرن 15م وبداية القرن 16م. لعل أهم هذه الأدوات التي يزخر بها هذا المتحف، الكرة الأرضية Globe وهي مصنوعة من مادة الذهب يعود تاريخها لعام 1510م، عليها رسومات لما يحيط العالم الجديد، كتب عليها America terra noviter reperta. وفي جامعة كراكوفي تتلمذ العالم نيقولاس كوبرنيك Nicolas Kopernik (1473-1543م)، في الفترة الممتدة من سنة 1491م

إلى 1495م، ومن المحتمل أنه كان يتابع كل ما تزخر به السماء من نجوم وأجرام باستعمال الأدوات التي تم ذكرها سابقا. ترك كوبرنيك أيضا مؤلفا آخرا يحمل عنوان Moneta cadenda ratio (1517-1526م)، أورد فيه هذا العالم الفلكي، دراسة علمية قيمّة عن النقد وطريقة تداوله ويشير في نفس الوقت إلى مؤشرات دقيقة وعملية من أجل إصلاح وتوحيد النظام النقدي. أشار كوبرنيك في مؤلفه هذا إلى نظرية هامة مفادها أن العملة السيئة تقضي على العملة الصالحة. وسمي هذا القانون في مجال الاقتصاد بقانون جريشمان Gresham نسبة لمكتشفها الجديد.

شهد النصف الثاني من القرن 15م والقرن 16م، اهتماما منقطع النظير بظاهرة الوصف الجغرافي للعالم وأيضا وصف الحياة والعادات والتقاليد المعروفة في شتى أجزاء العالم. في هذا الإطار، كتب عميد جامعة كراكوفي واسمه ماثيو دو ميشلو Mathieu De Miechow سنة 1517م كتابا جغرافيا هاما وتحدث فيه عن علم الأجناس بعنوان Ethnographie Tactus de duabus et Sarmatiis, Asiana et Europiana. وقد جمع هذا الكاتب بين مختلف الاختصاصات، فهو مؤرخ، منجم وطبيب في نفس الوقت. يعد هذا الكتاب أوّل مؤلف خاص بجغرافية أوروبا الشرقية. ولأهمية مضمونة، فإن هذا الكتاب طبع خلال القرن 16م في إحدى عشرة طبعة. كما تم ترجمة هذا المتاب الهام إلى عدّة لغات هي: الألمانية، الإيطالية، الهولندية والبولونية.

وفي علم الخرائط، اشتهر برنارد فابوفسكي Bernard Wapowski وهو صديق كوبزنيك.

ومن الأقلام الشهيرة أيضا، الكاتب مارتن كرومر Martin Kromer وهو الكاتب الخاص لملك بولونيا، كما أنه شغل في نفس الوقت رتبة أسقف كنيسة فارميا Warmia.

ترك كتابين هما: De origines et rebus gestis Polonorum ألفه عام 1555م وبولونيا Polonia كتبه سنة 1570م. يتضمنان وصفا دقيقا للوضع السياسي، الاقتصادي والثقافي لبولونيا. تميّزت هذه الكتابات بالحس العلمي الراقي، هدف الكاتب من خلالها إلى التأكيد عن مبدأ الحكم الملّكي الذي كان سائدا في بولونيا. إنّها تتضمن مادة معلوماتية غزيرة عن مختلف المجالات التي تهتم الدولة البولونية آنذاك. لقد تداولها، الإنسانيون، الدبلوماسيون الأجانب وكذا التجار والرحالة على عد سواء.

ضمن الإنسانيين البولونيين البارزين فإن ثلاثة منهم اشتهروا باتصالاتهم المتكرّرة بالأصقاع الخارجية، وهؤلاء هم: فيليب كاليماك بيونا كورسي Philippe Callimaque Buonacorsi، حنا لاسكي Jean Laski وأندريه فريز موردرزفسكي André Fryez–Modrzewski، فيليب بيوناكورسي الملقب كاليماك، إيطالي الأصل، تم نفيه من بلده بسبب مشاركته في مؤامرة ضد البابا، فلجأ إلى بولونيا. كان عالما تجريبيا. لم يكم يؤمن للطبيعة المزدوجة للطبيعة البشرية، وقد خلص في نظرياته إلى الروح الخالدة. يعد فيليب واحدا من الإنسانيين، إنه نادى بحرية الفرد ونادى بالطريقة العلمانية في التفكير والعيش أيضا. وفي إطار نشاطه السياسي، يعد من دعاة سيادة الدولة، كان يرغب في ادخال اصلاحات من أجل تقوية أسس الحكم الملكي. ومن أفكاره أيضا الدعوة لحرية الدراسات العلمية، منتقدا وبشدّة علم المدرسة la scholastique.

وضع فيليب في مدينة كراكوفي أسسا لحلقة تجمع عددا من الإنسانيين، وإلى جانبهم عناصر بورجوازية وأفراد من زجاله المقربين. وكان لهذه الحلقة اتصالات بالأوساط في البلاط الملكي وكذا مع الطبقة البورجوازية في كراكوفي ومع انسانيين من مدينة فلورانسا الإيطالية.

أمّا حنا لاسكاري فإنه ينتمي بدوره لحلقة الإنسانيين لمدينة كراكوفي، درس في إيطاليا، كما تتلمذ على يد إيرازموس Erasme، انضم إلى أتباع أستاذه، ويعد أيضا من أولئك الذين وجهوا انتقادات لاذعة للكنيسة الرومانية. بعد القطيعة مع روما، قام لاسكاري برحلات عديدة، قادته إلى كل من لفريزيا Frisie.

وأيضا سافر إلى لندن وزار ضفاف نهر الراين Rhin، يعد مصلحا كبيرا ومنظما متميّزا للكنائس البروتيستانتية. سنة 1556م، عاد إلى بولونيا وعمل جاهدا من أجل توحيد الكنائس التي بلغها الإصلاح الديني. عقد لاسكاري علاقات صداقة قوّية مع إيرازموس، إلى حد أنه اشترى مكتبة هذا المعلم. نفس الروابط جمعت لاسكاري بفيليب ملونجتون Philippe Melanchton وكذلك كالفين Calvin. ألّف عدّة كتب، دعا للصراع ضد البابوية، كما أنه نشر أنماطا لحياة دينية جديدة. ذاع صيته في كل أصقاع أوروبا بصفته أحد العناصر الفاعلة في حقل الإصلاح الديني.

ثالث الإنسانيين البولونيين هو أندريه فريز موردرنفسكي (1503- حوالي 1572م)، صاحب الكتاب الشهير Commentatorium de republica emendanda libri quinque تناول فيه مواضيع ذات طابع سياسي، اجتماعي وأخلاقي.

نشر لأوّل مرّة في كراكوفي سنه 1551م، في طبعة غير كاملة، في حين أن السختين الثانية والثالثة اللتين نشرتا عام 1554و 1559، فكانتا كاملتين، أما أوّل طبعة باللّغة البولونية فإنها أيضا كانت غير كاملة وتم نشرها عام 1577. في نفس الوقت، تم نشر ترجمات لبعض أجزاء الكتاب وذلك باللّغة الألمانية، بالإسبانية، بالفرنسية وبالروسية.

وكان فريز يعرف حق المعرفة عددا من الأصقاع الأوروبية منها ألمانيا، النمسا، الأراضي المنخفضة وبلاد التشيك. كما أنه عقد علاقات وطيدة مع عدد من الشخصيات النافذة في الساحة الأوروبية آنذاك، منهم: فيليب ملنجتون، بونيفاس أمرباخ Boniface Amerbach، كما أنه زار بعض البلاطات الأوروبية منها نزوله لدى فرديناند الأوّل Ferdinand I والملك شارل الخامس Charles V. تمتع فريز بشعبية كبيرة في أوروبا، ليس هذا فحسب، بل إن كتاباته كثر عليها الطلب لدى الإنسانيين في أوروبا.

تضمّنت الكتب الخمسة لمؤلف فريز مواضيع مختلفة تتعلق بالعادات والتقاليد، القوانين، الحرب، المدرسة والكنيسة. إنه انتقد وبشدة الوضع الاجتماعي، الأخلاقي وتنظيم الدولة في بولونيا، وقد أظهر ميلا كبيرا لطبقة الفلاحين وكذا شريحة البورجوازية. وضع مشاريع هامة لإصلاح ميزانيات الدولة وكذا الضرائب، ودعا إلى ضرورة وجود محكمة استئناف تتألف من رجال أكفاء يكونون تحت رقابة الدولة. ومن نداءاته أيضا، ضرورة المساواة في الحقوق للبورجوازيين والفلاّحين. إن اشدّ ما كان يطمح إليه فريز، دمقرطة الكنيسة، وإزاحة طابع النبالة عليها، تحرير الدولة من التبعية البابوية والغاء كل تأثير كانت تمارسه على مختلف مجالات الحياة في بولونيا.

تتمثل النظرية الرئيسية لفريز في القول بالمساواة الكاملة أمام القانون، وأولوية القانون الذي يخضع له كل المواطنين. لكن في الواقع، لم يناد هذا الإنساني البولوني بإلغاء الامتيازات التي كانت تتمتع بها طبقة النبلاء ولم يدع أيضا لتساوي الطبقات الاجتماعية الثلاث. وحسبه، فإن الخلافات التي تنشب بين الملك وأتباعه يتم حلها من طرف محكمة الدولة وليس من طرف السيّد. ونادى أيضا بضرورة حضور عناصر من الطبقة البورجوازية في محكمة الاستئناف. إنه شن هجوما كاسحا على كبار الأسياد العلمانيين منهم ورجال الدين، لقد طالب بضرورة وجود حكم ملكي قوّي، لكنه خاضع في

نفس الوقت للقانون. يعد فريز من المطالبين بدولة مركزية، خاضعة لقانون موّحد، بإدارة قوية، يسّيرها موظفون بالإمكان عزلهم على أن لا يكون اختيارهم مدى الحياة، على أن تكون ميزانيات هذه الدولة مستقرة إضافة إلى ضرورة وجود جيش منظّم.

كان لفريز أيضا موقفا تجاه الحروب والعلاقات الدولية. إنه يميز بين الحرب العادلة والغير عادلة، وهذا المبدأ في الواقع لم يكن جديدا، بل نادى به من قبل عميد جامعة كراكوفي واسمه ستانيسلوس دوسكالميرز Stanislaus de Skalmierz في عام 1411م بعنوان De bellis instis، قال فيه بأن الحرب العادلة هي حرب دفاعية، وبأن كل الخلافات التي تنشأ بين الدول، يجب أن تّحكم سلميا على أساس القانون الدولي.

وبعد هذا التصريح، فإن عميد نفس المؤسسة العلمية، واسمه بول فلودكوفيك Wlodkowic Paul، الذي قاد الوفد البولوني الذي حضر فعاليات مجمع كونستانس Constance، نادى أيضا بمبدأ الحرب العادلة، بل أكثر من ذلك، فإنه ندد بسلطة البابا وكذا الإمبراطور على المسلمين وطالب بحق المسلمين في السيادة على أراضيهم.

وفي هذا السياق، يعد فريز متمما لأفكار أسلافه. ذلك أنه يرى أن الحرب الهجومية تعدّ جريمة ضد الإنسانية، واعتبر نفسه مدافعا مغوارا على فكرة السلم بين الأمم. يعتبر مجدّدا بحق. إنه أوجد مدلولا حديثا للأمة. ففي منظوره، فإن الشعب (Populus) يتكون من جميع المواطنين، ومن كل سكان البلد بما فيهم عامة الناس. واستنادا إلى كل الأفكار التي نادى بها يعتبر فريز إحدى الوجوه اللامعة التي عرفتها النهضة الأوروبية، وقد نال تبجيلا منقطع النظير من الشخصيات المرموقة والنافذة في أوروبا آنذاك.

-المحاضرة 04: النهضة الأدبية الفنية – الفكرية والعلمية – الاقتصادية

مظاهر الإصلاح الديني في بولونيا:

إن ما يميز الكنيسة في بولونيا، هو التنظيم المحكّم لها والذي فرضته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وهو الأمر الذي تجسّد حتى في الشخصيات الدينية التي أشرفت على تسيير شؤونها، والتي كان لها صيتا على الصعيد الأوروبي منها: الكاردينال هوزجوزس Hozjusz.

في نفس الوقت، فإن الزعماء العلمانيين للكنيسة البولونية التي تم إصلاحها، كانت لها علاقات وطيدة بالمصلحيين الألمان، السويسريين والفرنسيين.

شهدت فترة العصر الحديث في بولونيا أيضا توافد عدد من الشبان البولونيين على مختلف الجامعات الأوروبية وكذا المدارس البروتيستانتية. وكذلك تم نشر عدد من كتابات المفكّرين البولونيين في دور طبع مختلفة بالخصوص تلك الموجودة في مدينة نورمبورج Nuremberg.

في الوقت ذاته، استقطبت بولونيا في الفترة الحديثة ثلّة من كبار الشخصيات المثقفة الأوروبية هدفهم المشاركة في النقاشات الدينية المختلفة ومن أجل الكتابة أيضا. ومن هؤلاء الإيطاليين: فرانسيسكو ستانكارو Francesco Stancaro، فرانسيسكو لسمانينو Lismanino Francesco، جورجيو بلاندراتا Georgio Blandrata

وغيرهم، ومن الشخصيات الفرنسية: بطرس ستاتوريوس Pierre Statorius وحنا ثنود Jean Thenaud وغيرهم من المثقفين الآخرين.

إن هذه الحركية الفكرية الواسعة تتم في الواقع على المستوى الراقي الذي بلغته الثقافة البولونية في الفترة الحديثة ممّا جعلها تستقطب أقلاما أوروبية رائدة، ومن جهة أخرى أوجد هذا التفاعل البولوني_الغربي إمكانيات وفرص لنشر الفكر البولوني في الأصقاع الأوروبية الأخرى التي كانت تعرف من جهتها رقيا حضاريا لامعا.

تأثر الإخوة البولونيون بمذهب إيرازم، أنهم دافعوا وبكل شراسة على المبادئ المتمثلة في كرامة وقيمة الإنسان، كما أنهم نادوا بالسلم وضرورة التعاون بين الأمم. ومن أفكارهم أيضا نبذ حكم الإعدام، كل الأسلحة، الخدمة العسكرية، ينددون بالحروب الدفاعية منها والهجومية.

مهما يكن، فإن أفكار الإخوة البولونيين مع بعدها عن الواقع أضحت تندرج ضمن الطوباوية، وتحوّلت مع آواخر القرن 16م والقرن 17م إلى نشاط فلسفي، ذاع صيته في كامل أرجاء أوروبا.

لم يبق هؤلاء الإخوة أسيري الفكر المثالي، ذلك أن المفكّر الإيطالي الشهير واسمه فوستو سوسينو Fausto Socino قد ساهم بشكل فعّال في التخفيف من تشدّد هؤلاء الإخوة.

لقد اقتنع هؤلاء مع مرور الوقت أن الحروب الهجومية هي الوحيدة الواجب التنديد بها وعلى المسيحيين أيضا واجب الدفاع عن وطنهم في حال تعرّضه للخطر.

تعد النهضة الأوروبية ثورة كبرى قام بها المثقفون أحدثت تغيرات عميقة في كل المجالات التي تمس حياة الإنسان وقد ساهمت فيها بولونيا بشكل فعّال.

ألمانيا عشية الإصلاح الديني:

يعتبر القرن الخامس عشر الميلادي بالنسبة لتاريخ ألمانيا فترة ذهبية. لقد أثارت اعجاب الرحالة الأجانب الذين حطو الرحال بها مع أواخر هذا القرن وأيضا عشية الإصلاح الديني. إنهم انبهروا بثرواتها الكثيرة والمتنوعة. وعلى الرغم من هذا النمو المادي، لكن ألمانيا شهدت في نفس الفترة ضعفا سياسيا، كما لم تلعب ألمانيا الدور المنوط بها على الساحة الدولية.

الحياة الاقتصادية:

شهدت ألمانيا خلال القرن الخامس عشر الميلادي نموّ اقتصاديا غير مسبوق. انها استفادت من امتياز لم تكن المناطق الأخرى تمتلكه. ذلك أن ألمانيا تعدّ أكبر بلد أوروبي متنج للمعادن الثمينة. عن الجزء الأكبر من معدني الذهب والفضة التي تغذي ورشات سك العملة في الغرب الأوروبي مصدرها المناجم الألمانية منها منجم هارز Harz، مناجم بوهيميا وغيرها من المصادر المنجمية الأخرى.

تجاوزت شهرة ألمانيا في هذا المجال الآفاق. وخلال القرنين 14و 15م، استدعى الفرنسيون في مناسبات عديدة منجميين ألمان، لمساعدتهم في اكتشاف واستغلال مناجم على الأراضي الفرنسية. لكن مع مرور الوقت وما حدث عن انخفاض في كمية هذه المعادن النفيسة في أوروبا، دفع الأمر بكريستوف كولومب للبحث عن مصادر أخرى لهذه الثروات النفيسة.

لم يكن الذهب والفضة الوحيدين اللذين اشتهرت بهما ألمانيا، لكنها عرفت أيضا بامتلاكها مادة النحاس، وقد اشتهرت بها منطقة منسفيلد Mansfeld، وسط البلاد، انها الأغنى في كل أوروبا، وكان الطلب على هذا المعدن كبيرا نظرا لاستعمالاته العسكرية بالدرجة الأولى، إذ كان يستخدم في صناعة المدفعية.

لم يكن الألمان، الذين عرفوا بحبهم للعمل ومجابهة الطبيعة القاسية، يصدّرون معادنهم فحسب، بل انهم كانوا يصنعون جزء منها في ألمانيا أيضا. لقد أبدعوا في الصناعات المعدنية، صناعة الأسلحة، الساعات. أما في مجال النسيج، عرف الألمان بإنتاج، وهي ألبسة مصنوعة بمادتي القطن و.

أما عن التجارة البحرية، فقد برعت فيها المدن الواقعة على ضفاف بحر البلطيق، ومدن العصبة الهانسية Hause منها: لوبيك Lubeck، بريم Bréme، همبمورج Hambourg.

من الأهمية القول أن السفن التجارية للعصية الهانسية، يتم تحويلها وقت الحاجة إلى سفن حربية حينما يتم تهديد مصالح العصبة في مياه البلطيق وفي البحار.

أمّا في الجهة الجنوبية_الغربية لألمانيا، فقد برزت مدن أخرى منها على وجه الخصوص، نورمبورج Nuremberg، أجسبورج Augsbourg، أو لم. وفيها تتمركز السلع في اطار نقلها عبر البر إلى شمال إيطاليا.

كانت للألمان أيضا تجارة نشطة في مدينة لشبونة Lisbonne التي كانت تعج بالسلع القادمة من الشرق الأقصى. أسس الألمان أيضا مستعمرة في مدينة أنفرس Anvers، وكانت هذه الأخيرة مركزا كبيرا لإعادة بيع التوابل في أوروبا الغربية والوسطى، وقد اشتهر بهذه العملية البرتغاليون.

الرأسمال المالي في ألمانيا عشية الإصلاح الديني:

عرف الألمان أيضا بنشاطهم في المجال المالي. وفي هذا الحقل، اشتهرت أسرت فوجر Fugger التي لم يكن دورها يقتصر على المال فحسب، بل ساهمت بشكل فعّال في الميدان التجاري. تعود أصل هذه الأسرة إلى مدينة أوجسبورغ Augsbourg. بدأت شهرتها في مجال صناعة الشبيكة Futaine، ثم راح أفرادها يشتغلون في استغلال المناجم منها: مناجم الفضة الواقعة في منطقة تيرول Tyrol وأيضا مناجم النحاس في المجر.

عقدوا علاقات تجارية مع البنادقة. سرعان ما حوّل الفوجر نشاطهم إلى مجال تجارة الفضة، وأصبحوا في وقت قياسي رجال المال لبلاط روما في ألمانيا.

لم تكن الكنيسة الرومانية تمتلك العدد الكافي من الأشخاص القادرين على القيام بمهمة جباية مختلف الضرائب المفروضة على الكنائس وأيضا المسيحيين. ولهذا السبب، فإنها استنجدت برجال يتقنون إدارة المال والأعمال.

هكذا أصبحت عناصر من أسرة فوجر تجمع الرسوم المستحقة للبابوية في كل ألمانيا، المجر، بولونيا وحتى من المناطق الإسكندنافية. وبالنسبة لألمانيا، فإنهم وضعوا أيديهم بالخصوص على الأموال التي تجنى من بيع صكوك الغفران في ألمانيا، وهو الأمر الذي جلب ضد الفوجر النبذ réprobation التي أثارتها هذه المسألة التي ندّد بها لوثر خلال حركته الإصلاحية.

لكن، هذه الثروة الطائلة التي عرفت بها ألمانيا، لم يستفد منها كل الألمان، بل إنها حكرا على طبقة البورجوازية، سكان المدن.

ومقابل هذه المدن الغنية، بالخصوص نورمبورج وستراسبورج، انتصبت أرياف يسكنها فقراء، تتحكم في مصيرهم نسبة الإنتاج الزراعي. أما نسبة السكان فإن التقديرات تشير إلى أن عددهم بلغ في ألمانيا خلال منتصف القرن 16م حوالي عشرين مليون نسمة وهو عدد ضخم بالنسبة لتلك الفترة.

أما توزيعهم، فلم يكن متساو. فالسهول الشمالية كانت أقل كثافة سكانية، فالنسبة الكبيرة كانت تتمركز في الغرب بالخصوص القسم الجنوب الغربي. وخلال القرن 15م، فإن هذا الفائض السكاني قد وجد نفسه بالعمل في مجال الصناعة النسيجية. والتي شهدت تراجعا ملحوظا مع بداية القرن 16م. وفي الوقت الذي كان فيه انتاج الشبيكة Futaine تعرف رواجا كبيرا بسبب العلاقات الجيدة مع البندقية التي تصدر لألمانيا مادة القطن التي كانت تجلب من الشرق. فإن الصناعة التي تعتمد على الجوخ قد تراجعت بشكل لافت نظرا للمنافسة الشديدة التي تعرّض لها الألمان من فلاندرز و إنجلترا في هذا الحقل.

فكانت اليد العاملة الألمانية تتمركز في الجزء الجنوب الغربي للبلاد، التي كان الغرب الأوروبي يجلب الجنود المرتزقة الألمان منها. التحق عدد منهم بالجيش الإمبراطوري، بفرنسا، إنجلترا، اسبانيا وبمختلف الأصقاع الأوروبية التي لم تمتلك المشاة بالقدر الكافي.

إضافة إلى التجار والفلاّحين، هناك طبقة الفرسان أو طبقة النبلاء الصغرى. إنهم لم يكونوا يملكون عائدات عقارية واسعة مثل النبلاء الكبار. لم يساهموا في التجارة

أو الصناعة. ومن أجل تحسين مستواهم المادي، كانوا يلجأون إلى العمل العسكري بالمشاركة في مختلف الحملات، بل انتشرت في ألمانيا أيضا خلال هذه الفترة أعمال اللصوصية. ذلك أن قطاع الطرق كانوا يتحيّنون فرصة تنقل قوافل التجار الأغنياء والبورجوازيين من مدينة لأخرى فينقضون عليها ويجردونها من متاعها.

وقد اطلق على الفرسان اللذين يقومون بهذه اسم روبرتيز Raubritter بمعنى "فرسان الغنيمة" وانتشرت هذه الأعمال الغير مشروعة بالخصوص مع بدايات الإصلاح الديني.

الحياة الأخلاقية والدينية:

من اللافت للانتباه أن تلك الحركة الاقتصادية والثراء الفاحش الذي كانت تنعم بها الطبقات الراقية في ألمانيا، لم يصاحبها الأخلاق بنفس الدرجة. وفي هذا السياق، ذكر الإنساني الشهير ومفيلينج Wimpheling وهو من الألزاس، بعدما تغنّى بازدهار ألمانيا في عهده، قائلا: "الثروة، مخاطرة عديدة... إنّها تتسبب في الترف المفرط، الفسق، الفجور، الطمع. هذا الطمع جعل عقل الناس طائش وتؤدي إلى ازدراء واحتقار الرب، الكنيسة وقوانينها. والأقل تلطيخا بعيوب العصر هم العمّال والفلاّحين: هؤلاء لا زالوا يعيشون حسب العادات الماضية... السوء يحدث بالخصوص في المدن، حيث انتشرت التجارة بشكل رهيب، وتسمح في وقت قصير بجني فوائد معتبرة."

بنفس الحسرة تحدّث الواعظ جيلر كايسر سبيرج Geiler De Kaiser Sberg، وهو من منطقة الألزاس أيضا ومعاصر للإنساني ومفيليج، ولقب بوق "ستراسبورغ ، كان ولمدّة ثلاثين عاما، واعظ هذه المدينة".

وحتى الإنكليروس لم ينجح من اللا أخلاق التي مسّت باقي شرائح المجتمع. لقد انغمس رجال الدين في المدن في حياة الرفاهية التي كانت تعيشها الشرائح الراقية.

في حين تن رجال الدين في القرى كانوا يحيون حياة صعبة. وإذا كانت الحياة الأخلاقية قد تراجعت، فإن الشعور الديني بقي متقدّا. لقد شهد القرنان 14و15م مرحلة مزدهرة في الجانب المعماري الديني. إضافة إلى بناء العديد من المراكز الخيرية. هذه الفترة أيضا، عرف النشيد الديني تطوّرا ملحوظا. مع اكتشاف الطباعة، استفاد عامة الناس من الكتب الدينية منها جامعي الصلوات. في هذا الإطار أيضا، برزت ظاهرة تقليد المسيح _عليه السلام_ في سلوكه وأفعاله، بالخصوص في منطقة الراين الأسفل.

هذا الشعور الديني الفيّاض الذي كانت ألمانيا مسرحا لها، حمل في ثناياه أيضا، الرغبة في احداث إصلاح عميق في الكنيسة. من الأسباب التي دفعت لنمو هذا الشعور، ثقل الضرائب التي كانت تفرضها البابوية. وفي الوقت الذي كانت فيه الكنيسة في فرنسا، والكنيسة في إنجلترا ترد بقوّة عن ثقل الضرائب المستحقة للبابوية، فإن هذه الأخيرة استغلت الفوضى والانقسام السياسي في المانيا لتضاعف طلبها للضرائب كتعويض عن مقاومة الكنيستين السابقتين لها.

الطابع الوطني للإصلاح الديني في ألمانيا:

تتميز حركة الإصلاح الديني في ألمانيا بطابعها القومي، كما هو الحال بالنسبة للحركة الإنسانية بها.

حتى إن كانت الحركة الإنسانية في ألمانيا قد تشرّبت من نظيرتها الإيطالية لكنّها ميّزتها خاصيتين هما: كان للأولى طابعا جرمانيا خالصا. في الوقت الذي اهتم الإنسانيون الايطاليون الكتابات الكلاسيكية القديمة الرومانية منها والإغريقية، فإن نظرائهم

الألمان قد وجهوا كل اهتماماتهم لدراسات الوثائق القديمة التي تخص التاريخ والأدب الألمانيين ولا يتردد هؤلاء في تمجيد الماضي الجرماني.

من جهة أخرى، إن الحركة الإنسانية في إيطاليا قد تميّزت بطابعها الوثني، في حين أن الإنسانيين الألمان أولوا المسائل الدينية الأولوية قبل غيرها من الانشغالات الأخرى. لقد مثّل هذا التيار الألماني بكل جدارة.

ومفيلنج:

ولد سنة 1450م في سلستات Sélestat الواقعة في الألزاس Alzase، درس في جامعة هيدلبرج Heidelberg ثم انسحب إلى ستراسبورج، وعاش فيها حتى وافته المنية. ترك عدّة كتابات. يعد مؤرخا ومدّرس. أطلق عليه تلامذته لقب بمعلم "جرمانيا". نادى هذا الإنساني الألماني إلى ضرورة اصلاح الكنيسة وبشكل عميق.

إنه ندّد وبشدّة بأولئك، حسبه، يعرقلون هذا المشروع الإصلاحي، وهم بالخصوص الرهبان وأتباعهم. والمقصود بهؤلاء الأخيرين، أولئك الأشخاص الذين يترقبون من القوى الفاعلة في الكنيسة من أجل أن يحصلوا منها على الفوائد بشتى أنواعها.

هذه الانتقادات اللاذعة جعلت هذا الإنساني يصطدم مع رهبان هيئة الأغسطنيين L'ordre des Augustins. ليس هذا فحسب، بل كان لومفيلنج صراعا آخر لا يقل شدّة مع المدافعين على علم المدرسة. إنه يعاتب هؤلاء على جهلهم ويندد بمحاربتهم للدراسات العلمية.

من جهته، فإن الإنساني الآخر واسمه بركخايمر Pirckheimer، فقد التحق في البداية بالحركة الإصلاحية لمارتن لوثر، لكن سرعان ما انفصل عنه. يعد بركخايمر من

أشراف مدينة نورنبرج، عضوا في مجلس المدينة، عمل أيضا بصفة مستشار لدى الإمبراطور ماكسيمليان Maximilien. تمتع بباع طويل في مجال الدراسات القديمة. نشرت ترجمات لكتب إغريقية ولاتينية وكذلك كتبا خاصة بالتاريخ الألماني. خصم عنيد للمدرسيين، من دعاة الرجوع للكتابة المقدسة. من أتباع الحركة اللوثرية. لكن مع مرور الوقت، كما حدث بالنسبة لإيرازم، فإن بركخايمر، اشمأز للعنف الذي تمخضت عنه فيما بعد الحركة اللوثرية، فقرّر الانسحاب من هذه الحركة، وكانت وفاته سنة 1530م.

مجموعة إرفورت Erfurt:

في الوقت الذي ظهر فيه لوثر، فإن أهم مركز للحركة الإنسانية كان جامعة إرفورت الواقعة في ساكسونيا. في هذه المؤسسة العلمية، تجتمع عدة شباب حول شخص اسمه كونراد موتيان Conrad Mutian، الملقب موتيانوس Mutianus وهو أستاذ في جامعة إرفورت وكاهن قانوني في جوتا Gotha. في الواقع، إن ديانة المسيحية تتميّز بالروحانية الغامضة. قال بأن المسيح هو روح...، لا يمكن لمسه باليدين ولا رؤيته بالعين، لم يكن موتيانوس يعترف بالقداس ولا بالعشاء السري المقدّس.

من تلامذته، كروتوس روبيانوس Crotus Rubianus. عرف بأنه أكثر جرأة من معلمه، ذلك أنه أثناء إقامة الحلقات التي كانت تجمع عددا من الإنسانيين، كان يصرّح بأن القداس عبارة عن "كوميديا بابوية"، وذكر أيضا بأن الخطيب الروماني الشهير واسمه شيشرون Cicéron (106-43ق.م) هو "رسول كبير"، وبابا أكثر شهرة من ليون العاشر Léon X نفسه.

يعدّ روبيانوس من أتباع لوثر الأوائل، لكن سرعان ما انفصل عنه، بل إنه تحوّل إلى أشد المعارضين له.

أما الإنساني الألماني الآخر فهو أولرخ دوهوتن Ulrich de Hutten، صديق روبيانوس، تردد بعض الوقت على جامعة إرفورت. لم يكن من الإنسانيين، كان مغامرا. سنة 1512م التحق بجيش ماكسيميليان كمجنّد. أبدى إعجابا منقطع النظير بالثقافة الكلاسيكية القديمة، كتب عدّة أبيات شعرية باللّغة اللاتينية، كما ربط علاقات مع الإنسانيين. ندّد باستغلال ألمانيا من طرف الكنيسة الرومانية. التحق أولرخ بالمصلح لوثر.

قضية روشلين Reuchlin:

روخلين إنساني بارع، درّس في جامعة هايدلبرج Heidelberg، ضليع في الدراسات العبرية. سنة 1509م، شبّ خلاف مع بفركورن Pfefferkorn. هذا الأخير من أصل يهودي، لكنه تنازل عن ديانة أجداده واعتنق المسيحية. لقد أثار الإمبراطور ماكسيميليان ضد بني جلدته القدامى من اليهود.

كان ينظر إلى هؤلاء في مختلف الأصقاع كما في ألمانيا بنظرة ملؤها الحقد والكراهية، لأنهم كانوا يعتمدون على الربا (بالمفهوم اللاتيني للكلمة، بمعنى القرض بالفائدة، وفي هذه الفترة كانت هذه العملية منبوذة من طرف الكنيسة).

أورد هذا الإنساني في عدد من كتبه طلبت إلى الجهات المخوّلة بضرورة منع اليهود من اللجوء إلى استخدام الربا، وفي نفس الوقت حثّ على ضرورة اتلاف كتب اليهود المقدّسة بالخصوص، التلموذ Talmud منها. لقي التماسه هذا رد فعل إيجابي ودعم من مختلف الأنظمة الدينية، وحتى الإمبراطور طلب بأن يسلم اليهود هذه الكتب المقدّسة التي بحوزتهم حتى يتم إتلافها.

لكن هذه العملية لم تلق النتيجة المرجوة، فعلى الرغم من إزالة بعض الكتب، فإن ماكسيميليان لما طلب آراء شخصيات أخرى نافذة، لم يحصل على اجماع منهم بالقضاء على الكتب المقدّسة لليهود.

إن هذه القضية تعد في الواقع، جوهر الخلاف بين روشلين وهذا اليهود الذي تنصرّ حديثا. لقد كان روشلين شديد اللّهجة مع هذا الأخير، بل واتهمه بعدم القدرة على فهم كلمة واحدة ممّا تضمّنته تلك الكتب التي طلب اتلافها. لكن بفركورن زدّ بنفس الشدّة على خصمه، وقد وجدت رسالتي هجاء التين كتبهما قبولا ورواجا واسعين في الساحة. أما كلية اللاهوت في كولونيا Cologne، فإن أفرادها لم يقتنعوا بعروض روشلين، ووقفوا إلى جانب الشخصية اليهودية المنتصرة.

لكن روشلين لم يكن من أولئك الذين يستسلمون للأمر المقضي، إنه أثار ضجة، لاهوتيي كولونيا. لكن الإمبراطور لم يقف مكتوف اليدين بل إنه تدخل وطلب محاكمة روشلين.

هكذا، بدأت عملية اضطهاد هذا الأخير، في هذه الأثناء حوّل نظره إلى مجموعة الإنسانيين التي ظهرت في جامعة إرفورت، لتبدأ بذلك حربا شعواء على كلية اللاهوت في جامعة كولونيا التي تم اعتبارها قلعة متينة لعلم المدرسة، وطالت هذه الحرب أيضا الدومنيكان الذين يعدون الحقيقيين لعام المدرسة، وهم الخصوم الرئيسيين للحركة الإنسانية. دامت هذه المعركة الشرسة عدّة سنوات.

الجانب السياسي:

مع بداية الفترة الحديثة، كان إلى جانب الرايخ Reich –بمعنى الإمبراطورية– مجموعة من الأقاليم بالألمانية لاندر Lander، أما زعماءها فيطلق عليهم اسم لاندشرين Landesherren. وهؤلاء في الواقع هم الذين بيدهم السلطة السياسية الفعلية.

أهم الأقاليم التي تشكّل ألمانيا في هذه الفترة، في الشمال، دوقيات بوميرانيا Poméranie، مكلمبورج Mecklembourg، شليزفج Schleswig، هولسشاين Holstein، براشفيك Brunswick، مارغرافية Margraviat، براندنبورج Brandebourg، مطرانيات بريم Bréme ومجد بورج Magdebourg، وفي وسط وغرب ساكسونيا،التي ومنذ سنة 1485م، تم تقسيمها إلى جزئين، يحكمها فرعان من أسرة واحدة. فهناك أهلية الانتخاب سكسونيا ودوقية سكسونيا، ثم لاندغرافية، هس Hess ، أسقفية ورزبورج Wurzburg ومنستير Munster، أما القسم الجنوبي، فإنه يضم الدوقيات البافارية، دوقيات ورتمبرج Wurtemberg، مارغرافية، باد Bade، مطرانية سالزبورج Salzbourg.

الملاحظ أن كل هذه الأقاليم تعاني من الفقر ممّا دفع بزعمائها إلى الاعتماد على المغامرة لزيادة مواردها. وقد اصطدم هؤلاء بما يسمّى ستاند Stande وهؤلاء ممّثلين في مختلف الجمعيات المنتخبة التي أطلق عليها لاندبّاج Landtage أو ما يسمّى دييت Diéte. أما الدور الرئيسي لهذه المؤسسة فتتمثل في الموافقة على الضريبة. كما يتم استشارة أعضاءها في حال ادخال تغييرات على القوانين.

إن عدد معتبرا من هذه الأقاليم يتزعمها أساقفة أو مطارنة، وعليه فإن الحاكم كان يجمعبين يديه لبسلطتين الروحية والزمنية. وفي مواقع أخرى، فإن الأمراء كانوا يبذلون مجهودات مضنية من أجل التدخل في المسائل ذات الطابع الديني.

الجامعات:

كانت الجامعات مؤسسات ذات طابع كنسي، لقد تدخل زعماء الأقاليم بشكل مباشر في عملية تأسيسها. عرفت ألمانيا خلال القرنين 14 و 15م بناء عدد من الجامعات بها. وقد اختلف الأمر عن ما كان عليه في فترة العصور الوسطى حين كانت الجامعات تابعة للسلطة البابوية.

مع بداية الإصلاح الديني، كانت ألمانيا تعدّ ست عشرة جامعة. أشهرها وأقدمها هي جامعة كولونيا. يؤمها الطلبة من كل أنحاء أوروبا لدراسة القانون بها، كما كان التردد على جامعة باريس لدراسة اللاهوت. وقبل هذه الفترة نزل الطلاّب الألمان على الجامعات الإيطالية بالخصوص بولونيا Bologne، بافيا Pavie، بادوا Padoue.

المدن:

تعتبر المدن في ألمانيا، شبه جمهوريات صغيرة وتسّمى "المدن الحرة". بالألمانية فريستادت « Freistadte » أو مدن الإمبراطورية ريخسّادت « Reichstadte ».

وقد امتدت هذه الحريات لتشمل كذلك المدن الألمانية الواقعة في القسم الجنوب_الغربي للإمبراطورية في متز Metz على سبيل المثال، فإن أوّل قاض Magistrat المدينة أو ما يعرف بـ قد اتخذ اللّقب المزدوج الملازم أو نائب الإمبراطور، معنى ذلك أنه يعتبر نفسه قد حصل من السلطة الإمبراطورية. مع مرور الوقت تقلصت تسريح حقوق الإمبراطور في هذه المدينة. لقد تم الإشارة إليها في وثيقة قديمة يعتبر أهل مدينة متز بمثابة ميثاق تضمّن حرياتهم المختلفة. استنادا إلى هذه الوثيقة، للإمبراطور الحق في سك العملة، وهي سارية المفعول لفترة محدّدة، له الحق في الاستيلاء على المنازل الخاصة، من أجل إيواءه الخاص أو إقامة أتباعه، ولديه أيضا حق ممارسة

السلطة القضائية أثناء فترة إقامته، بمعنى يمكن له أن يمنح العفو لأشخاص محكوم عليهم.

على الرغم من هذا، فإن سكان هذه المدينة اتخذوا كل الإجراءات اللازمة من أجل الحفظ على حرياتهم. منها أنه عند قيام الإمبراطورية بزيارة إلى متز، وقبل أن تمنح له مفاتيح المدينة، يطلب منه تأدية اليمين بأن يحترم كل الامتيازات التي تتمتع بها مدينتهم، ليس هذا فحسب ولكن تحسبا لي استعمال للقوة، فإن سكان متز يضعون سلاسل حديدية على طول الطرق المستعرضة.

وفي مدينة ستراسبورج، يّكاد الوضع يشبه ذلك السائد في متز. إنها مدينة قديمة كانت مركزا أسقفيا هاما، لكنها تحررت من سيادة أسقفها، وأصبحت تسير شؤونها بنفسها. تمتعت باستقلال واسع، فهي المدينة الوحيدة في كل ربوع الإمبراطورية معفية من تأدية يمين الولاء للإمبراطور. جميع المدن الكبرى في الإمبراطورية، وكل تلك التي أعجب الأجانب ببهائها، كانت مدن حرّة وباستثناء ستراسبورج زكولونيا يمكن ذكر سبير Spire، وورمس Worms وبال Bale.

الإمبراطورية:

لم تعد الإمبراطورية تشكّل إلاّ واجهة في ألمانيا، وأصبح ذكر السيادة الإمبراطورية إلاّ في حال هدّد خطر أجنبي البلاد.

وخارج ألمانيا، فإن الدوقيات التالية: سافوا Savoie، ميلانو Milan، بارم Parme ومودين Modène هي المناطق الإيطالية الوحيدة التي لم تمح من الذاكرة بعد انتماءها للإمبراطورية.

أما Franche_Comté، الأراضي المنخفضة، فإنها كانت تحيا وفق قوانينها، نفس الوضع عاشته دوقية اللورين Lorraine. كما استقلت الكونتونات السويسرية بدورها.

من الجهة الشرقية، فإن كل الأراضي التي انتزعها الفرسان التيوتون وهي، بروسيا Prusse، كورلاند Courlande، وليفونيا قد استقلت عن تبعيتها للإمبراطورية.

في هذا السياق، حدث سنة 1466م، أن أعلن السّيد الكبير للنظام بأنه فصلا لملك بولونيا. في حين أن بوهيميا وتوابعها وهما مورافيا Moravie وسليسيا Silésie، فإنها مازالت ضمن حدود الإمبراطورية ولكن على أرض الواقع، فهي مستقلة، لقد شكلت مملكة، وزعمائها ينتمون للعائلة الملكية البولونية وهي آل جاجلون Jagellon.

لم تكن الإمبراطورية تملك دستورا مكتوبا. وهناك وثيقة واحدة يمكن إعطائها الصفة الدستورية، إنه "المرسوم الذهبي" وهي وثيقة قديمة يعود تاريخه إلى سنة 1356م، تنظم بالخصوص مسألة الانتخابات الإمبراطورية. إن عدد منتخبي الإمبراطورية ثابت دوما وهو سبعة: أربعة منهم علمانيين من، ساكسونيا، براندبوج Brandebourg، بلاتينا Palatinat ومن بوهيميا، وثلاثة كنسيين من، ماينس، كولونيا، وتريف Trèves. أما المطران_ المنتخب Archevêque_électeur، مدينة ماينس، فإنه يحتفظ بحق رئاسة الهيئة الانتخابية، وتعتبر هذه المدينة أيضا، العاصمة الدينية لجرمانيا.

ثروة أسرة هابسبورغ Habsbourg:

حكمت أسرة هابسبورغ من سنة 1438م، حق نهاية الإمبراطورية الرومانية المقدّسة سنة 1806م. تمتعت هذه الأسرة بالثراء والقوة. يمتد سرحها على نطاق واسع، وتضم أرشيدوقية النمسا، دوقيات: ستيريا Styrie، كارنتيا Carinthie وكارنيول

Carniole، كونتية تيرول Tyrol، أراضي في سوابيا Souab والألزاس العليا Haute_Alsace.

ومع نهاية القرن 15م، فإن ماكسيمليان وبصفته وريثا لأسرة بورغانيا Bourgone بزواجه من ماريا Marie ابنة شارل الجسور Charles le Téméraires، ضم للإمبراطورية جزءا من شارل الجسور الأملاك البورغانية وهي الأراضي المنخفضة و Franche_Conté.

وإن ضم الأراضي المنخفضة لممتلكات الهابسبورغ لم يكن مكسبا إقليميا فحسب بل أكثر منه اقتصادي باعتبار أن هذه المنطقة كانت محورا تجاريا رائدا في أوروبا خلال هذه الفترة.

انتشار الإصلاح اللوثري:

بحلول سنة 1526م، شهد الإصلاح اللوثري انتشارا ملحوظا وقد مسّ مختلف أصقاع الغرب اللاتيني، أمام هذا السيل الجارف، بقيت البابوية عاجزة في محاولة منها لتوقيف مدّه.

ميلاد الكنائس اللوثرية:

احتضنت معظم المدن التابعة للإمبراطورية حركة الإصلاح الديني، وبلغة الأرقام، فإن واحدا وخمسون مدينة على مجموع خمس وستين منهم أصبحت بروتيستانتية خلال سنة 1540م، أما في المدن التي كانت خاضعة للسلطة الأميرية، فإن نجاح الحركة كان مرهونا بإرادة أمير منطقة.

فيما بين سنة 1525م إلى 1542م، فإن أغلب الأسر الحاكمة، باستثناء الهابسبورغ ووتلسباش Wittelsbac، قد تبنت المذهب البروتيستانتي.

إن أوّل من التحق بهذا المذهب الجديد هو السيّد العظيم لهيئة التيوتون Ordre Tentonique واسمه ألبرت من هوهنزولرن Albert Hohenzollern الذي بروسيا Prusse وأعلن نفسه دوقا سنة 1525م.

أما Landgrave فيليب من هس Philippe de Hesse، ناخب ساكسونيا La Saxe، ودوق مكلمبورج Mecklembourg.

وفي سنة 1534م، جاء الدور على أنهالت Anhalt، كذلك بوميرانيا Poméranie وبالخصوص ورتمبورج Wurtemberg، هذه الأخيرة تم الحاقها سنة 1520م بأراضي الهابسبورج ولكن تم استرجاعها بقوّة السلاح من طرف فيليب من هس.

سنة 1539م، امتدّ الإصلاح اللوثري ليشمل أيضا مدينة براندبورج Brandebourg ودوقية ساكسونيا Saxe، وسنة 1542م، تم طرد دوق برانشفيك Bruns–wick من أراضيه، ونشرت هناك المبادئ الإصلاحية لكن باستعمال قوّة السلاح.

وأمام سرعة انتشار المبادئ اللوثرية، أدرك لوثر أنه من الضروري هيكلة الكنيسة البروتيستانتية. ففي سنة 1525م، تزوّج لوثر من إحدى الراهبات واسمها كاترين دو بورا Catherine de Bora، وهذا الإجراء يعدّ بحق قطيعة نهائية مع روما، ومن الآن فصاعدا أصبحت الهيئة البروتيستانتية تعيش حياة عائلية مماثلة لتلك التي يحياها العلمانيون وهو العامل الذي سمح لها بالاندماج في المجتمع. وضع لوثر قدّاسا ألمانيا تم اتخاذه بمثابة نموذج اعتمدته معظم المناطق التي انتشر فيها الإصلاح اللوثري. لقد تم

الاحتفاظ بالإطار التقليدي للطقوس، لكن الجديد فيه أن أصبح جوهر. أنجز لوثر أيضا مجموع وقد اعتمد عليها خلال كل العصر 16م.

ركّز لوثر أيضا على.

أما عن المواقف المذهبية لمارتن لوثر، فإنه عرضها في العديد من كتبه منها:

الصغير والكبير (1529) Le petit et le Grand Catéchisme.

وفي (1530) Confession d'Augsbourg، و Apologie، ومبادئ Articles de Smalkalde (1537م) إضافة كتابات أخرى.

تتمثل القاعدة المهيبة لمارتن لوثر في قوله أن الإيمان موهبة مجانية من الرب. وإن المصدر الوحيد للإيمان، أو القناة التي عبرها يمنحها الرّب للشخص، هي الكتابة المقدّسة التي يستطيع كل مؤمن تفسيرها عبر مساعدة روح القدس. إن هذه الأخيرة هي المخزن Dépôt الوحيد لـ ولذلك فغن السلطات البشرية مثل الباباوات، المجامع والآباء. أما الأسرار المقدّسة فإنها بالنسبة للوثر إثنين فقط هما: التعميد و.

الكنيسة الحقيقية، غير مرئية. عالمي، ولا يمكن حصره في مجموعة من المؤمنين منفصلين عن الاخرين. أما، فهم موّظفون، تلقوا تكوينا روحيا يسمح لهم بالوعظ والإشراف الأسرار المقدّسة. لكن لا وجود لهيئة دينية، ولا عزوبة إجبارية.

إن المذهب اللوثري قد أحدث في الحقيقة تجديدا عميقا في المدلول الديني تمثل ذلك في البساطة العقائدية والطقسية، والعلمانيين. وفي سياق وضع هياكل كنيسة جديدة تتماشى والمبادئ التي وضعها لوثر، فإن أوّل محاولة تنظيمية قام بها فيليب من هس سنة 1526م، بمساعدة فرانسوا لومبريت François Lambert، كان تابعا لهيئة

الفرنسيسكان وهو من مدينة أفنيون Avignon لكنه تبنّى الإصلاح اللوثري. عرض فيليب على سندوس عقدت أشغاله في مدينة همبورج Homberg مشروعا تأسيسيا بعنوان Reformatio ecclesiarum Hassiae، والذي ضمّنه المبادئ الأصلية التي وضعها لوثر، والمتمثلة في خلق مجموعات تتكوّن من المسيحيين الحقيقيين مزّودة بنظام سندوسي ذاتي. لكن لوثر اعتبر هذا المشروع سابق لأوانه.

على الرغم من أن هذا المصلح الألماني قد عرف بأنه حيال كل تدّخل أميري في الشؤون الكنسية، فإنه تبنى المدلول الذي كان معمولا به في زمانه، الذي يعتبر الأمير، باعتباره المسيحي الأعلى، وباعتبار المهمّة الإلهية الموكلة له، يعتبر أسقفا حاملا للقب مؤقت مكلّف بالإشراف على إقرار النظام في الكنيسة.

بسبب ما تقتضيه المسيحية الرسولية من هياكل كنسية ونظاما كنسيا بالغ الشدّة والصرامة، وإن الطرف الوحيد الذي يمكنه فرض هذا النظام المتشدّد هي السلطة الأميرية.

في الواقع، لم يتردد الأمراء لحظة على قبول هذه المهمّة التي أسندت لهم، والتي تسمح لهم بزيادة فرض سلطتهم على رعاياهم، ومن جهة أخرى فإن وضع أيديهم على الأملاك الكنسية يمكنهم لا محال من الحصول على عائدات إضافية.

هكذا، فرضت السلطة الأميرية الإصلاح اللوثري على كل السكان، وعلى القساوسة أيضا. وأخذت الكنيسة البروتستانتية تطفو إلى السطح داخل الإقليم السياسي. في فترة قصيرة، أصبحت منطقة ساكسونيا Saxe نموذجا، وعلى إثر هذه المهمّة التي أسندت له، فإن السلطة الأميرية وضعت تشريعا كنسيا ضخما سمي بـ Kirche nordnungen، إنه يحمل تفصيلا دقيقا جدّا عن، الطقس، والمؤسسات. ولتطبيق هذا النظام، تمّ تكليف لجان مشكلة من اللاهوتيين ورجال قانون مهمّتهم القيام بالتفتيش على

مستوى الكنائس للسهر على السير الحسن للمسائل ذات الطابع اللاهوتي وكذلك الأخلاقي على مستوى.

على الرغم من التفتت السياسي واستقلالية كل كنيسة أميرية أو مدنية، فإنها جميعها قد احتفظت على انسجام نسبي وهذا بفضل الإشعاع اللوثري. لكن هذا التأثير قد اقتصر على ألمانيا الوسطى والشمالية. في حين ان منطقة سوابيا Souabe والمناطق الواقعة على الراين فإنها كانت تشهد بروز لاهوت مستقل.

منذ سنة 1524م، سعى البروتيستانت إلى تحسين وضعيتهم على المستوى القانوني، وهذا بمحاولة التأثير على الإمبراطور، شارل الخامس، الذي كان يميل للإصلاحات، لكنه لم يكم مستعدا للتراجع عن المحاكمة التي جرت في وورمس والتي تم خلالها إدانة مارتن لوثر.

في هذا الوقت بالذات، كان الإمبراطور شارل في أمس الحاجة للحصول على مساعدة الأمراء البروتيستانت له ماليا لتمويل حروبه، وهي الورقة التي أراد الأمراء الضغط بها على شارل الخامس.

خلال دبت الأولى التي انعقدت أشغالها في مدينة سبير Spire سنة 1526م، طالب الأمراء ببعض التنازلات الدينية تخص مسائل في انتظار انعقاد مجمع ديني.

خلال فعاليات هذا المحفل الديني، حضر فرديناند Ferdinand، شقيق الإمبراطور شارل، وكان ممثلا لهذا الأخير. أمام هذا الضغط، اضطر فرديناند لأن يقدّم وعدا بعقد مجمع وطني وبأن يسمح للأمراء بأن يختاروا بما يميله عليهم ضميرهم تجاه الرّب والإمبراطور. هذا التنازل يعدّ بحق القاعدة القانونية التي استند عليها الإصلاح في ما بعد وكذلك تعد نقطة انطلاق للكنائس الأميرية. هكذا توقف العمل بالمرسوم الصادر

عن ديت وومس ما عدا الإبقاء على Ban الذي تم اتخاذه تجاه لوثر. لكن الملاحظ أن هذه الهدنة التي سمحت بانتشار الإنجيل الجديد قد تعرّضت للتهديد حقا خلال الديت الثانية التي عقدت مجددا في مدينة سبير سنة 1529م. ذلك أن فرديناند، إذا كان قد وعد بعقد مجمع، فإنه فرض إلغاء سنة 1526م.

في هذه الأثناء، كان الإنجيليون يشكّلون الأقلية وبالتالي لم يكن باستطاعنهم منع التصويت على الذي يدعو للرجوع لمرسوم وورمس.

هذا يمنع أيضا كل نشاط انشر الإصلاح اللوثري ويفرض أيضا ضرورة العودة للعمل بالقدّاس في مختلف المناطق.

لكن أقلية إنجيلية احتجت على هذا الأمر، فسمي هؤلاء بالبروتيستانت الذي أطلق على الإصلاح، لأنهم يعتقدون بأن هذا الأمر إذا تعلق بالضمير لا يمكن الخضوع لقرار الأغلبية.

سنة 1530م، وقد بلغ شارل الخامس قمّة مجده، اقترح بأن يحلّ بنفسه المسألة الدينية في ألمانيا وهذا خلال انعقاد ديت أوجسبورغ Augsbourg، لكنه فشل في مسعاه لأسباب سياسية أكثر منها دينية.

الإصلاح الديني في فرنسا:

جاك لوففر ديتابلس Jacques lefèvre d'Etaples، اسمه باللّغة اللاتينية فابر ستابلونسس Faber Stapulensis يعد من رواد الإصلاح الديني في فرنسا. ولد سنة 1450م. إنه أحد قامات الحركة الإنسانية الفرنسية. عاصر ميلاد الطباعة التي تعتبر بحق من أبرز الثورات التي شهدتها البشرية قاطبة. عاش في باريس "مدينة الذكاء" حسب المؤرخ زيلر (ج) (.G) Zeller.

ولد جاك في منطقة إيتابلس، الواقعة في بيكارديا Picardie، وهي نفس المنطقة التي ينتمي إليها كالفن Calvin. الثلث الأوّل من حياة جاك يكتنفه الغموض. اجتاز هذا الخير امتحان البكالوريا في شعبة الفلسفة سنة 1478م، أما عن علم اللاهوت، فلا يعرف بالتحديد إن كان جاك قد زاول الدراسة في هذا الحقل المعرفي، لكن أغلب الظن أنه لم يدرس اللاهوت. وفي هذا السياق، فإن العديد من خصومه قد عاتبوه على عدم فعل ذلك. كان إكليريكيا Clerc. كان جاك، جمع بين الدراسات الدينية والدنيوية.

رحلة جاك الأولى إلى إيطاليا 1491-1492م:

التكوين الفلسفي:

فتح جاك عقله لاستيعاب جميع الأفكار التي كانت منتشرة في عصره. قام برحلة إلى إيطاليا من سنة 1491 على 1492م، وذلك من أجل الاستفادة من الحرك الإنسانية التي كانت لإيطاليا تحتضنها آنذاك، وكان جاك آنذاك في الأربعينيات من عمره. اهتم بالفلسفة أكثر من شغفه بدراسة الأحرف الجميلة Belles lettres. كتب "مقدمة" لمؤلف أرسطو الذي يحل عنوان "الميتافيزيقا". تردّد جاك على جامعة بادوا

Padoue، كانت هذه المؤسسة العلمية الكبرى تابعة لجمهورية البندقية، أما أساتذتها فإنهم من دعاة أفكار ابن رشد. ثن تنقل جاك إلى مدينة فلورانسا Florence أين كان يدرس الفكر الأفلاطوني. ويبدو أن جاك لوففر قد مال أكثر للأفلاطونية الحديثة التي كانت تدرس في فلورانسا.

زار هذا الإنساني الفرنسي كذلك مدينة روما. بعدها عاد على فرنسا وأخذ على عاتقه مهمة تدريس الفلسفة في كوليج الكاردينال لوموان Collège du Cardinal Lemoinواحد من أشهر كوليج جامعة باريس. كان يؤمن وبشدّة بعدم جدوى علم المدرسة، وعجز مناهجها في تكوين العقل. وبالتوازي مع مهنة التدريس، نشر لوففر "مقدّمته" لكتاب الميتافيزيقا، التي كتبها منذ سنوات خلت، وكذلك شروحات عن "فيزياء" أرسطو.

رحلة جاك لوففر الثانية إلى إيطاليا 1499م:

أثمرت مجهودات هذا الفرنسي اللامع من أجل إعادة بعث فكر أرسطو عن صدور سنة 1497م لمؤلفه بعنوان: Œuvres morales d'Aristote.

سنة 1499م، عاد لوففر إلى إيطاليا. لقد جلب اهتمامه أعياد السنة المقدّسة. كما أثار انتباهه أيضا صكوك الغفران التي وعد بها البابا ألكسندر السادس بورجيا Alexandre VI Borgia كل الذين يأتون لزيارة أهم الكنائس الرومانية بمناسبة هذه السنة.

تنقل لوففر إلى روما مرورا بالبندقية، وعلى الأرجح أنه وصل إلى روما في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر سنة 1499م، في اليوم الذي ضرب فيه ألكسندر

السادس بالمطرقة الرمزية أبواب كنيسة القديس بطرس التي كانت مغلقة منذ قرن من الزمن.

في هذه الفترة، وفي إطار المساهمة للتعريف أكثر بفكر أرسطو، نشر لوففر طبعة عن الأرجانون Organon.

لم تكن هذه القامة الفرنسية لتكتفي بالفلسفة فحسب، بل إنه تأثر أيضا بتيار روحاني Mystique الذي كان منتشرا آنذاك، كما في حقب أخرى أيضا. في هذا السياق نشر لوففر، كتابات القديس دونيز لاريوباجيت Denys l'Aréopagite، وهو من كبار رجال الدين خلال القرون الأولى للميلاد. زيادة على ذلك، فإنه أصدر طبعة لـ Nocer Spirituelles de Ruysbroek، وهو روحاني بلجيكي مشهور، عاش خلال القرن 13م. وأن هذا النوع من الكتب التي كانت تطبع في مدينة بالريس وبأسعار مقبولة، كان مصدر الأغلبية منها في الواقع، منطقتين أوروبيتين هما: هولندا وبالخصوص، الأراضي المنخفضة منها. ذلك أن هذه الأخيرة، كانت خلال هذه الفترة الزمنية، مركز إشعاع ديني بارز.

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، وتحديدا سنة 1507م، أصبحت الاهتمامات الدينية للوففر تعلو من ميولاته الفلسفية.

وقبل هذه الفترة، كانت له محاولة دونما نتيجة، سنة 1491م للالتحاق بالدير، وجاء ذلك القرار الذي اتخذه عقب تأثرّه بكتابات ريموند لول Raymond Lulle، روحاني الشهير الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي.

سنة 1507م، كرّر المحاولة مجدّدا، لكن إصابته فجأة بوعكة صحية حالت دونما تحقيق هذه الأمنية الجامحة على ما يبدو.

في هذه الأثناء، وجد لوففر راحته في دير القديس جرمان دي بريز Saint-Germain des Prés، والذي دعاه إليه صديقه واحد معجبيه أيضا واسمه بريسونت Briçonnet الذي كان يحمل آنذاك لقب أسقف. وفي هذا المكان وجد لوففر كل وسائل الراحة التي كان يحتاج إليها، فأطلق العنان لمخيّلته، وأخذ في عملية التأليف دون أن يتوقف عن مهنة التعليم التي كان يؤديها في كوليج الكاردينال لوموان.

من الفلسفة إلى اللاهوت:

انتقل لوففر من دراسة الفلسفة إلى الانشغال باللاهوت. درس بشكل دقيق سيرة القديس بول Saint Paul. هذا القديس سيكون في المستقبل أستاذه بكل جدارة واستحقاق، وكذلك أستاذ كل الأشخاص الذين يأملون في إدخال إصلاح المسيحية من الداخل.

في الحقيقة، تعدّ كتابات القديس بول الإرث المشترك الذي تقاسمه جميع رواد حركة الإصلاح الديني.

في سنة 1503م نادى إيرازم Erasme إلى "الرجوع للقديس بول Paul". في هذا السياق، تعد Epitres القديس بول من أشهر ما تم قراءته ودراسته، في الأدب المسيحي بالخصوص Epitresللرومان و Epitre au Galates. سنة 1512م، نشر لوففر "تعليق على Epitres القديس بول".

الرحلة الثالثة لإيطاليا والإقامة في ألمانيا، 1510م:

لم يتوقف لوففر عن الترحال. زار إيطاليا للمرّة الثالثة. وفي سنة 1510م، حط الرحال بألمانيا وأقام في منطقة الراين الأسفل، وهي رحلة تعدّ منعرّجا مفصليا في حياته كما رحلته الأولى التي قادته إلى إيطاليا سنة 1491م.

هناك ربط علاقات مع "إخوة الحياة المشتركة Frères de la vie commune". جلب اهتمامه في هذا المجال شخصية نيقولاس من كيس Nicolas de Cues، وهو لاهوتي شهير وفيلسوف ألماني.

ومن خلال قراءاته لكتابات هذه الشخصية الفذّة، كشف لوففر عن التلاقي بين الروحانية المسيحية وعلم أرسطو.

اهتم لوففر في هذا المجال أيضا بجمع المخطوطات المختلفة التي تضم كتابات نيقولاس. ولتحقيق هذا الهدف، اضطر لزيارة عدة مناطق وهي إكس لاشابيل Aix-la-Chapelle، كولونيا Cologne وماينس Mayence. حيث أولى اهتماما منقطع النظير بالمخطوطات التي عثر عليها هنا وهناك.

وبعد عملية الجمع هذه، عكف لوففر على نشر نسخة كاملة لكتابات نيقولاس من كيس.

لوففر وإيرازم:

كانت بين لوففر وإيرازم علاقة وطيدة، وقد تعارف الرجلان في مدينة باريس. فخلال سنوات 1500م كان إيرازم يقيم في جبل القديسة جنفييف Sainte-

Geneviève. وكثيرا ما كان ينزل بالعاصمة الفرنسية خلال تنقلاته عبر الأصقاع الأوروبية.

في الواقع، كان هناك اختلاف لافت بين الصديقين، فبالنسبة لإيرازم فإن متطلبات العقل يتغلب على حاجات القلب، في حين يغلب على لوففر الإحساس Sensibilité.

رغم هذه الصداقة، لكن سنة 1517م، شهدت نشوب خلاف حاد بين الرجلين. ففي هذه السنة نشر إيرازم طبعة مميزّة ورائعة، باللّغة اللاتينية، "للعهد الجديد"، من جانبه فإن لوففر الذي نشر الطبعة الثانية لـ رسائل تقوية، القديس بول، اعترض على تفسير قدّمه إيرازم لمقطع من العهد الجديد.

لم يبق إيرازم مكتوف اليدين أمام هذا الوضع، بل إنه رد من خلال كتيب صغير أسماه "دفاع إيرازم من روتردام" ضد جاك لوففر من إتابلس.

وعلى الرغم من هذا الخلاف، فإن صداقة الرجلين لم تتعرّض للقطيعة.

إن ما يميز لوففر أنه كان يعشق الكتابة عشقا، إنه عرف بكثرة التأليف، أصبح بحق، عميد الإنسانيين. إنه قرأ، فسّر وعلّق على الكتب المقدّسة بأسلوب راق جدّا.

سنة 1501م، تمّ في جامعة السوربون استحداث رتبة جديدة اسمها "Syndic". وهي ما يعادل "النائب" في المحكمة. وكانت مهمّة هذا الشخص الجديد، متابعة الأفراد المتهمين بالهرطقة، وكل الذي ن يحاولون المساس بأي شكل من الأشكال بالدين.

عيّن لتولي هذا المنصب شخص باسم نويل بديي Noel Bédier، والذي عرف باسمه اللاتيني بيدا Béda. لعب هذا الرجل مع مرور الوقت دورا هاما للغاية في مسار العلاقات بين كنيسة فرنسا بالإصلاح الديني.

في هذه الأثناء، لم يكن لوففر الوحيد الذي حمل على عاتقه حركة الإصلاح الديني في فرنسا. زيادة على مدينة باريس التي كانت تعد مركزا بارزا في هذا المجال، برزت مدينة مو Meaux التي أضحت بمثابة بؤرة أخرى للإصلاح الكنسي، وحتى إن كان لوففر المرشد الرئيسي لهده الحركة، فإن زعيمها في مو هو أسقفها غليوم بريسوني Guillaume Briçonnet. ينتمي هذا الأخير لعائلة بورجوازية ثرية، اهتم أفراد منها بالجانبين المالي والتجاري.

من اسهامات غليوم في الحقل الديني أنه عمل جاهدا على إصلاح دير القديس جرمان دي بري Saint-Germain-des-Prés.

البابا كالكست الثالث Calixte III (1455- 1458م):

تراجع في دعوى الإنسانيين

عقب وفاة البابا نيقولاس الخامس عام 1455م، اختار الكوليج المقدّس Le Sacré-Collège الإسباني ألونسو بورجا Alonso Borja، ولد عام 1378م في منطقة كزاتيفا Xativa الواقعة بالقرب من مدينة فالنسيا Valence. ينتمي لآل بورجا Borjas. عرف بجمال طلعته، ذكاء حاذ وحنكة دبلوماسية عالية. حينما كان شابا، تنبأ له أحد رجال الدين واسمه فانست فيريي Vancent Ferrier، الذي كان يقوم بعملية الوعظ في مدينة فالنسيا، بأن ليأتي يوم يضع فيه ألونسو التاج البابوي على رأسه، وهو ما تحقق بالفعل.

حينما صعد ألونسو على العرش البابوي فإن واحدة من الخطوات التي أقدم عليها، هو رفع فانسنت إلى مصاف القديس عرفانا له بهذا الصنيع الكبير.

عرف هذا البابا الجديد بسعة عمله، إنه حصل على شهادة الدكتوراه في القانون، درس في جامعة لريدا Lérida وقبل أن يصبح بابا كان كاتبا خاصا لملك أراجونا Aragon، ألفونسو Alphonse، وبعد فترة قصيرة، اتخذه هذا الملك مستشاره الخاص.

وأثناء ولاية البابا أوجين الرابع، ألونسو على رتبة الكاردينال، ومنذئذ أصبح يقيم في مدينة روما. لم يطل به المقام في هذه المدينة، حتى أثار إعجاب البلاط البابوي، لما يتمتع به من معرفة واسعة بالمسائل السياسية كما الدينية المطروحة على الساحة الدولية آنذاك.

لكن، المثير للانتباه أنه لم يكن يعير اهتماما كبيرا لشريحة الإنسانيين، هؤلاء الذين فقدوا في البابا نيقولاس الخامس صدرا حنونا ومرافقا كبيرا. وأمام ذهول الجميع، فإن كالكست الثالث قرّب إليه الجميع لورانزو فالا Lorenzo Valla، وقد جعل منه سكرتيرا بابويا، وتعود معرفة البابا بهذه الشخصية إلى أيام ماضية حينما كان رجل الكنيسة الأوّل في مدينة نابولي Naples.

في الواقع، إن ما كان يشغل البابا الجديد هو العمل دون هوادة لتحقيق الهدف الأسمى والمتمثل في استرجاع مدينة القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وذلك مهما كلّفه هذا المشروع العسكري من أموال. وقد التزم بأن يضحي بأملاك وكنوز الكنيسة، وحتى بنفسه إن اقتضى الأمر ذلك، في سبيل توقيف المد العثماني وتحرير مدينة قسطنطين العظيم (306-337م).

وفي هذا السياق، فإنه لم يتردد في بيع عدد من التي كان البابا مارتن الخامس يعتز بامتلاكها، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل إنه عمد إلى بيع عدد من القصور الفخمة. وقد استغل الملك ألفونسو هذه الفرصة الثمينة التي وضع خلالها البابا كالكست الثالث

عددا من هذه الأشياء الثمينة في المزاد، فاشترى لنفسه عددا من قطع. في هذه الأثناء كانت التحضيرات على قدم وساق لتجهيز أسطول عسكري لحرب العثمانيين لذلك فإن إعادة ترميم كنيسة القديس بطرس St. Pierre في مدينة روما قد تم تأجيلها إلى ما بعد الحرب، وتحوّل الرسامين والطرازين إلى صنّاع الرايات اللازمة التي يحملها الجند خلال المعركة. أمّا النحاتين فقد أسندت إليهم مهمة صنع من الحجارة للغرض الحربي أيضا.

لكن على الرغم من الحماس الفياض الذي أبداه كالكست الثالث لاسترجاع القسطنطينية، فإن ذلك لم يأت بالثمار المرجوة، وتوفي البابا في السادس أوت عام 1458م، وفي قلبه جرحا غائرا لضياع مدينة القياصرة.

البابا بيوس الثاني Pie II (1458- 1464م): حامي الإنسانيين:

اسمه المدني إنياس سلفيوس بكولوميني Eneas- Sylvius- Piccolomini، تولى العرش البابوي بأغلبية الأصوات على حساب الكاردينال الفرنسي دستوتفيل d'Estouteville () والذي شعغل رتبة مطران مدينة روان Rouen. لقي تعيين البابا بيوس الثاني استحسانا كبيرا وسط الرومان وكذلك ملك بابولي ودوق ميلانو، كما عبّر سكان مدينة سيان Sienne () التي ينحدر منها هذا البابا على نفس شعور الارتياح والبهجة لانتخاب ابن مدينتهم لتولي السدّة الرسولية وهي أعلى منزلة دينية على الاطلاق.

عرف بيوس الثاني بكونه إحدى الشخصيات العالمية الرائدة، عارفا بمختلف الملفات المطروحة على الساحة الدولية آنذاك والتي تمس مختلف المجالات، دينية، سياسية وميادين أخرى، إضافة إلى هذا كلّه، يعد بيوس الثاني واحدا من الإنسانيين البارعين، ويعد الشعر والتاريخ أهم الفنون التي كان له فيها صيت كبير.

قبل جلوسه على العرش البابوي، شارك إنياس في أشغال مجمع بال Bâle، كما أنه عمل إلى جانب الإمبراطور فريدريك الثالث Frédéric III، الأمر الذي أكسبه تجربة واسعة في تسيير الشؤون السياسية كما الدينية.

عرف بيوس الثاني بإسهامه الكبير في ميدان الكتابة، ومن الآثار التي تركها "تعليقات" Commentaire، ومؤلفه الأدبي الشهير "تاريخ العشيقين" Histoire de Deux Amants.

أحاط بيوس الثاني شريحة الإنسانيين برعاية منقطعة النظير. إنه كلّف أحد تلامذة لورانزو فالا، واسمه فرانشيسكو من أريزو Francesco d'Arezzo بمواصلة ترجمة الإلياذة l'illiade، والتي شرع فيها فالا من قبل.

أحاط بيوس الثاني نفسه بثلة من كبار الإنسانيين منهم فلافيو بيوندو Flavio Biondo. كان هذا الأخير يرافق البابا في تنقلاته المختلفة التي كان يقوم بها في حنوا حي روما. وذهبا معا إلى مدينة مانتو Mantoue() وهنالك أنهى بيوندو كتابة مؤلفه الضخم Roma Triumphans، وهي محاولة جادة لكتابة تاريخ عام للتاريخ الروماني القديم.

وخلال ولاية البابا بيوس الثاني، ازداد خطر العثمانيين حدّة شرق ووسط أوروبا، ولا تزال إيطاليا ملاذا وملجأ للإغريق الفارين من الآلة الحربية العثمانية.

لقد نزل بإيطاليا ضيفا سامقا، إنه توماس باليولوج Thomas Paléologue شقيق الإمبراطور قسطنطين باليولوج Constantin Paléologue.

ومن الأهمية القول أن هذا الضيف المميّز الذي حلّ بإيطاليا، ووجد استقبالا حارا من البابا بيوس الثاني، قد كان لبيساريون دورا كبيرا في هذه المراسيم. ولم يكن توماس فارغ اليدين بل إنه أحضر معه هدّية ثمينة للغاية إنها قطعة من بقية القديس أندريه St. André والمتمثلة في رأسه، أما البابا فإنه كافأه بمنحه الزهرة الذهبية، ومنحة تقدر بستة آلاف دوقا Ducats، وفي نفس الوقت دعا أمراء الغرب لضرورة منح هذا الأمير اللاجئ السلاح والرجال قصد مساعدته على استرجاع عرش أجداده، لكن توماس توفي ولم يحقق الحلم الضائع.

البابا بول الثاني Paul II (1464-1471م):

هو بييترو باربارو Pietro Barbaro، ولد عام 1417م، يعد من أقارب البابا أوجين الرابع. ينتمي لأسرة من أثرياء البندقية. امتهن باربارو في بداية حياته حرفةالتجارة، لكن سرعان ما عاد عن مجال المال والأعمال بمجرد صعود أوجين الرابع على العرش البابوي.

تولى باربارو رتبة الكاردينال وعمره لم يتجاوز 23 عاما بدعم من أوجين الرابع. عرف عن باربارو امتلاكه لثروة طائلة، لذلك فإنه لم يتردد في استغلالها لتحقيق مشاريع معمارية ضخمة. ففي عام 1455م، فإنه شرع في بناء قصر ضخم في مدينة البندقية، وقد أسند هذه المهمة لمعماريين بارعين هما: روسلينو Rosselino وجياكومو دي بييتراسنتا Giacomo di Pietrasanta الذين عمل في الماضي تحت إمرة الباباوين نيقولاس الخامس وبيوس الثاني.

جلس باربارو على العرش البابوي عام 1464م واتخذ منذئذ اسم بول الثاني، وقد خلف في هذا المنصب السامق البابا بيوس الثاني.

شهدت مؤسسة البابوية في عهد بول الثاني اصلاحا لافتا. من ذلك أن مجلس الكرادلة قررّ تقليص صلاحية البابا الجديد. في هذا السياق، تم تحديد عدد الكرادلة بأربعة وعشرين عضوا على أن يحصل تعيينهم على موافقة الكوليج المقدّس Sacré-Collège. وفي إطار الإصلاح أيضا منع البابا من اتخاذ قرار إعلان الحرب أو عقد حلف دونما استشارة الكرادلة. من جهة أخرى فرض على البابا أيضا عدم تعيين أحد أفراد عائلته في مناصب القيادة. هكذا، جعلت هذه الإصلاحات الجذرية من البابا الجديد مجرد رئيس لمجلس الكرادلة فحسب.

مهما يكن من أمر هذه الإصلاحات، فإن البابا الجديد ما إن تولى مهامه بدأ العمل في اتجاه خدمة الرعايا لمسيحيين حسبما تفرضه عليه وظيفته السامقة باعتباره الراعي الأوّل لهم.

إن أوّل ما اهتم به هو إعادة الوجد اللائق لمدينة روما والتي لوثها الوباء الذي ضرب بقوة سكانها. إنه أمر بتنظيف الشوارع التي كانت تغطيها جثث الموتى وتطهيرها من الروائح الكريهة التي تصدر من تعفن وتحلل أجسام المفقودين. من جانب آخر، فإنه أمر بإعادة ترميم قنوات المياه ومجاري الصرف. ومن أجل الترفيه على النفوس فإنه اهتم بمختلف الألعاب التي كانت تقام في المدينة.

ويبدو أن البابا بول الثاني كان يهوى الاحتفالات، في هذا الإطار يندرج إشرافه على مراسيم احتفالية كبيرة في ساحة البندقية.

اهتم بول الثاني بتموين مدينة روما، أمر بمتابعة اللصوص كما ألزم القضاة بعدم تنفيذ حكم الإعدام في المساجين. أما المندوبين البابويين، حكام الأقاليم المختلفة وكذلك القضاة فإنه منعهم من قبول الهدايا التي تمنح لهم.

جدير القول أن، البابا بول الثاني عرف بشغف كبير لجمع التماثيل والآثار القديمة كالميداليات، لكنه في نفس الوقت لم يكن يميل لشريحة الإنسانيين. ولعل أبرز صورة عن عدم الوفاق بين بول الثاني والإنسانيين، سوء المعاملة التي تعرّض لها واحد من المثقفين البارزين في القرن الخامس عشر واسمه بلاتينا Platina صاحب كتاب "تاريخ البابوات" Histoire des Papes، والسبب تحدّيه للبابا الذي حرمه مع مجموعة من الإنسانيين الأخرين من الامتيازات التي منحت لهم من طرف بيوس الثاني.

وفي إطار مطاردة الإنسانيين، عمد بول الثاني إلى غلق الأكاديمية الرومانية التي أسسها أحدهم واسمه بومبونيوس ليتوس Pomponius Laetus، وكانت حجة البابا في ذلك أن هذه المؤسسة كانت "وكرا" لكل "عيوب" العصر القديم، ولم تنته العملية عند هذا الحد بل إن أعضاء الأكاديمية تعرضوا لحملة مطاردة شرسة ومن هؤلاء كاليماك Callimaque، جلوكوس Glaucus، بتريوس Petreius وبلاتينا.

ذهب بول الثاني في نبذه للتراث القديم إلى حد القول أن في حال أمدّه الرب بعمر طويل بأنه التاريخ والشعر وكذلك سيعمل على منع دراسة علم الفلك لأنه مصدر كل الأخطاء. إنه أمر الأساتذة الذين كانوا يدرسون في روما بعدم الحديث أثناء التدريس عن الشعراء.

هكذا، كابد الإنسانيون أثناء ولاية بول الثاني كل الصعاب وبعد أشهر طوال قضاها عدد منهم في غياهب السجن، خضعوا خلالها لكل أنواع التعذيب، تم الإفراج عنهم بعد تدخل الإغريقي بيساريون الذي بات يحظى بمكانة سامقة في البلاط البابوي، إضافة إلى تدخل عدد من أعضاء الكوليج المقدّس الذين نددوا بحملة الاضطهاد الشرسة التي طالت هؤلاء الإنسانيون.

مهما يكن من أمر هذا التحامل على الإنسانيين، فإن وفاة البابا بول الثاني عام 1471م، قد وضع حدّا لهذا الكابوس.

في الحقيقة، لم يتوقف بول الثاني عن صنع الحدث حتى بعد وفاته. لقد تم العثور، بعد مغادرته لهذا العالم، على كنز ضخم من ضمنه أربعو وخمسون حوضا مليئة باللؤلؤ قدرت بقيمة ثلاثمائة ألف دوكا Ducats كانت موّجهة لاستغلالها في التحضيرات لحرب العثمانيين، إضافة إلى كميات معتبرة من الذهب والأحجار الكريمة تقدر بنفس القيمة المالية. وكان الغرض منها صنع تاجين للبابا بول تلبية لرغبته الشخصية.

لم تكن هذه الثروة الوحيدة التي بحوزة البابا، بل إنه كان يملك عائدات أخرى من استغلال مناجم مادة الشب Alun التي كان مصدرها مناجم تولفا Tolfa.

البابا سكست الرابع Sixte IV (1471-1484م): إعادة الاعتبار للإنسانيين

اسمه المدني فرانسوا دولا روفر François Della Rovere ولد في قرية صغيرة بالقرب من سافون Savone في منطقة ليجور Ligure شمال إيطاليا، من المحتمل يوم الواحد والعشرين من شهر جويليا عام 1414م. ينتمي لعائلة بسيطة يمتهن أفرادها حرفة صيد السمك.

التحق فرانسوا في سن التاسعة من عمره بنظام الفرنسيسكان Franciscains. درس اللاهوت والفلسفة في كل من بافيا Pavie شمال إيطاليا، وفي بولونيا Bologne الواقعة على الأدرياتيك وكذلك في فلورانسا Florence وسيان Sienne في إيطاليا الوسطى. عرف بذكائه الحاد وكذلك بالفصاحة والبلاغة، وقد ساعدته كل هذه المميّزات ليكون رجل وعظ نافذ في المجتمع. نال فرانسوا رتبة قائد نظام الفرنسيسكان.

تولى جلس فرانسوا على العرش البابوي عام 1471م وحمل يومها اسم سكست الرابع.

إنّ أوّل ما قام به عقب توليه لهذا المنصب السامق، أن كافأ أولئك الذين صوّتوا لصالحه منهم الكاردينال بورجيا Borgia وقد منحه رئاسة دير سوبياكو Subiaco، من جهته حصل الكاردينال جونزاج Gonzague على دير القديس جريجوري Saint-Grégoire، كما كافأ آخرين بمناصب متنوعة أخرى.

لم يتوقف البابا الجديد عند هذا الحد، بل إنه وزع الهبات على أفراد من أسرته، منهم ابن شقيقته واسمه ريايرو Riario. كما نال أبناء أخيه امتيازات أخرى. إنه لقب جوليان دولا روفر كاردينالا وهو لم يتجاوز سن الثامنة والعشرين من عمره.

أدرك سكست الرابع أهمية الجانب الفني، وبالنسبة إليه فإن المتاحف تذكر دوما بأسماء مؤسسيها.

إنه منح لمدينة روما العديد من التماثيل التي كانت ملكية خاصة له، والتي تحصل عنها من خلال التنقيبات التي أجريت في مدينة روما، ومع مرور الزمن أصبحت تلك التماثيل تشكل نواة متحف الكابيتولين Capitolin. إنه أعاد ترميم مكتبة الفاتيكان التي أصبحت تحتوي في أواخر ولايته البابوية 3500 مجلد مخطوط.

أدرك سكست الرابع مدى التأثير السلبي لسياسة اضطهاد الإنسانيين على الولاية البابوية لبول الثاني، لذلك فإنه لم يكن يرغب في أن يغامر بعرشه البابوي، في هذا السياق أعاد فتح الأكاديمية الرومانية التي غلق أبوابها بول الثاني، وأسند رئاستها لبومبونيوس ليتوس Pomponius Laetus، أما بلاتينا Platina، فإنه تولى إدارة المكتبة وكلّف بتنظيم جناح خاص بالأرشيف. وباقتراح من هذا الأخير، أمر البابا بفتح

المكتبة لاستقبال جمهور الطلبة بهدف الاستفادة من تلك الثروة الفكرية التي تحتويها هذه المكتبة.

عرف عن سكست الرابع حبه المنقطع النظير للموسيقى في هذا الإطار استدعى إلى روما أحد البارعين في هذا الميدان اسمه جوسكين دي بري Josquin des Près وأصله من، وبقي هذا الشخص في العاصمة الإيطالية خلال ولاية سكست الرابع وأيضا البابا إينوسنت الثامن Innocent VIII (1484-1492م) والبابا ألكسندر السادس Alexandre VI (1492-1503م).

مهما يكن من أمر، فإن أبرز ما عرف به سكست الرابع بناءه لكنيسة سكستين التي حملت اسمه والتي زينت بالفسيفساء الفلورانسية وكذلك بأنامل ميخائيل أنجلوس.

صكوك الغفران La Querelle:

في الواقع، تعود Querelle صكوك الغفران إلى سنة 1517م، لكن جذور هذه الواقعة ترجع إلى بداية القرن السادس عشر الميلادي. ففي سنة 1506م، قرر البابا جول الثاني Jules II تحطيم البازيليكا القديمة النى تحمل اسم القديس بطرس Saint–Pierre وكان يرغب في أن يبني معلما ضخما. بدأت الأشغال بها في عهد هذا البابا، وقد واصل الأشغال بها البابا ليون العاشر Léon X، الذي تولى العرش البابوي ابتداء من سنة 1513م.

أقدم هذا البابا الجديد، على تجديد غفران كان قد منحه البابا الذي سبقه، وهذا بهدف الحصول من المسيحيين على الأموال اللازمة لتحقيق مشروعه الضخم. وبهدف رفع هذا في ألمانيا، فإنه كلّف من لدنه شخصا هو مطران مدينة ماينس Mayence واسمه ألبرت من براندبورج Albert de Brandebourg. يتمتع هذا الشخص بثقافة عالية، كان يرغب أن يكون راعيا للإنسانيين الذين برزوا في ألمانيا. ومن بين الذين وجدوا عملا في بلاطه أولرش دو هوتن Ulrich de Hutten. عرف عن ألبرت حبّه أيضا للوحات الفنية.

وفي هذا السياق، فإنه عمل دون كلل أو ملل لتزيين كاتدرائية ماينس بتحف فنية رائعة الجمال، وبنفس الحماس زخرف ألبرت قصره أيضا. لقد أحاط هذا المطران نفسه بأبهة كبيرة، أما حرسه الخاص فكان يتكون من فرقة يبلغ مائة وخمسين فارسا مسلحا.

هذا البذخ الفاحش الذي أضحى نمط حياة المطران ألبرت، دفع به إلى الحاجة للكثير من الأموال، وهو الأمر الذي جعله يلجأ في بعض الأحيان إلى الاستدانة أيضا.

وممّا فتح الباب على مصراعيه لهذا المطران للحصول على الأموال والامتيازات أنه كان يتمتع بمقام عالي، إذ كان يعتبر جرمانيا ومنتخب الإمبراطورية. ضف إلى ذلك، فإن ألبرت كان الأخ الأصغر للمنتخب مارجراف مدينة براندبورج واسمه جواشيم Joachim. وبفضل هذا الأخير، كان ألبرت عندما بلغ سن الأربع والعشرين من عمره، أسقف مدينة هلبر ستادت Halbert Stadt ومطران مجدبورج Madgebourg.

بدأ الوعظ بالغفران سنة 1517م. ولهذه المهمّة اختار ألبرت شخصية الدومنيكاني تتزل Tetzel. ويبدو للوهلة الأولى أن هذه العملية واجهت صعوبة من أجل تطبيقها على أرض الواقع. في هذا الإطار، قام منتخب منطقة سكسونيا واسمه فريدريك الحكيم Frédéric le sage بالألمانية Friedrich der Weise. بمنح كل نشاط الوعظ للحصول على الغفران. إنه حال دونما استنزاف أموال رعاياه من أجل تسليمها لروما. لكن رغم محاولة هذا المسؤول للحفاظ على أموال رعاياه، فإن أغلبية المسيحيين في هذه الفترة، سواء في سكسونيا أو في مناطق أخرى، كانوا يرغبون في الحصول على الغفران.

وقد راح العديد من الأهالي بالانتقال من مدينة وتنبرج Wittenberg إلى خارج الحدود من أجل الاستماع إلى مواعظ تتزل. وكان هذا الشخص ككل الوعاظ آنذاك يردد أنه ما إن توضع الأموال في فإن الروح من المظهر.

لوثر ووقعها في ألمانيا:

مع انتشار ظاهرة صكوك الغفران، قرّر لوثر الخروج للعلن وابداء موقفه منها. وعلى باب قصر وتنبرج، علّق لوثر في الواحد و الثلاثين من شهر أكتوبر عام 1517م، وثيقة هامة تضمّنت خمسة وتسعون مقترحا أو. تحدّث فيها بتفصيل معمّق عن صكوك الغفران. من اللافت للانتباه أن الباحثين اتخذوا من هذا التاريخ بداية للإصلاح اللوثري.

عند التدقيق في الوثيقة، يتبيّن بأن مضمونها غير موجه لجمهرة الناس، لكن لشريحة معينة، إنهم اللاهوتيين، وتدخل ضمن النقاشات التي كانت تجري بين الدارسين للمسائل الدينية، وهي عادة كانت معروفة في أوروبا آنذاك.

أكّد لوثر في مقترحاته بأن الغفران دواء خاطئ. ذكر هذا المصلح الألماني بأن المسيح حينما قال:" قوموا بالتوبة" فإنه كان يرغب أن تكون كل حياة المؤمنين عبارة عن توبة. وهو الموضوع الجوهري الذي بنيت عليه أفكار مارتن لوثر.

والملاحظ أن لا دعوة فيها للتحامل على روما. هكذا، كان هجوم لوثر على الغفران وحده، دون الاشارة إلى شخص بعينه أو إلى الظروف التي تمّت فيها. إن من الآثام، بالنسبة للوثر، ليست وليدة ظرف معيّن، بل إنها الجهد الدائم نحو الحسن والغفران بالنسبة إليه، يكافأ بها الضمير الصافي وحده.

هكذا، لم يمر وقتا طويلا حتر لقيت أفكار لوثر صدى واسعا في أرجاء ألمانيا. ففي مدينة وتنبرج، لم يحضر أحدا في اليوم الذي حدّده مارتن لوثر لمناقشته في الأفكار التي جاء بها. لكن، لم يطل المقام حتى تم ترجمة المقترحات الخمس والتسعين من اللغة اللاتينية إلى اللغة الألمانية، ثم تم طبعها ونشرت في الأوساط التي تهم المسائل ذات الطابع اللاهوتي. وفي ظرف قصير، فإن اسم لوثر أصبح في كل الأفواه. في منتصف سنة 1518م، كتب أحد رجال القانون من مدينة نورمبورج Nuremberg قائلا: "أصبح لوثر أشهر رجل في كل ألمانيا. يحتفل به أصدقاءه، يكرّمونه، يناضلون من أجله، مستعدين ليتكبّدوا كل الصعاب من أجله. إنهم يقبلون أبسط كتاباته، يلقبّونه الحقيقة، الإنجيل، يسوع المسيح. إن القديس بول عندما تسمعهم، كأنه يتكلّم عبر فمه".

جدير القول أن هذا الصدى الواسع الذي لقيته خطابات لوثر من الوهلة الأولى قد حيّر فعلا المؤرخين والباحثين وظل لغزا محيّرا. ومهما يكن من أمر، فالمؤكد أن الإصلاح الديني في ألمانيا قد ولد من خلال لقاء رجل بالجمهور.

ضف إلى ذلك، من الأهمية الإشارة إلى أن سنوات قبل ظهور مارتن لوثر، برز أولر دو هوتن الذي يبدو وأنه منح لألمانيا صوتا صرخت به في وجه كنيسة روما، ويظهر أنه بلغ من العنف ما لم يصل إليه لوثر نفسه. لقد ندد أولرش بسياسة روما العنصرية وذلك بأن منحت للأمم الأخرى، في حين أن ألمانيا ظلت دوما عرضة للنهب فحسب.

موقف البابا من تصريحات لوثر:

لم يبق البابا ليون العاشر مكتوف اليدين أمام المقترحات التي عرضها لوثر، بل إنه أخذ بزمام الأمور وسارع لإجهاض تلك الحركة الاحتجاجية قبل فوات الأوان. ومن أجل تحقيق ذلك، أعطى البابا أوامر للقائد العام لهيئة الأغسطنيين من أجل كسر شوكة العملية الاحتجاجية قبل فوات الأوان. ويعني هذا الإجراء في جوهره ابعاد لوثر عن الساحة بل وأن تفرض التوبة عليه، ويصمت بشكل نهائي.

إنه إعلان صريح بمطاردة واضطهاد لوثر من لدن الكنيسة الرومانية ذاتها. على الرغم من ذلك، فإن هذا الثائر الألماني لم يكن وحيدا ومغلوبا على أمره في مواجهة الإعصار البابوي، بل إنه وجد إلى جانبه حماة أشدّاء. من هؤلاء ستوبتز Staupitz وهو نائب عام لهيئة الأوغسطنيين، وقد عرف عن هذا الرجل إعجابه الكبير بشخصية لوثر كما تربط بين الرجلين صداقة متينة، كما وجد لوثر دعما منقطع النظير من ناخب Electeur منطقة ساكسونيا واسمه فريدريك الحكيم Frédérique le Sage. في هذه

الفترة بالذات، كان البابا هذا الناخب، لأسباب سياسية، يرغب في أن يجلس فريدريك على عرش الإمبراطورية، وهذا بعد وفاة الإمبراطور ماكسيمليان، وكان الهدف من هذا الاجراء الإستباقي قطع الطريق أمام مرشح محتمل من آل هابسبورغ Habsebourg. وتحقيقا لهذا الهدف، بهدف كسب ود فريديريك، قرّر البابا، عوضا من استدعاء لوثر إلى روما من أجل إرغامه على تقديم إضاحات على ما صرّح به، فإن البابا أثر أن يمثل لوثر أمام الكاردينال–المندوب البابوي واسمه كاجيتاني Cajetani، على أن يكون اللّقاء في ألمانيا نفسها.

حدث اللّقاء بين لوثر وكجيتاني، لكن لم يسفر على النتيجة التي كان يرجوها البابا، ذلك أن لوثر رفض، زيادة على ذلك، ذهب بعد فترة قصيرة من اللّقاء إلى على أبواب كاتدرائية أوجسبورغ في اليوم الثاني والعشرين من شهر أكتوبر عام 1518م لنداء إلى البابا استنادا إلى العبارة الجارية خلال القرن 15م.

وأمام تعنت لوثر، بدأ يلوح في الأفق عقاب الحرمان الكنسي Excommunication الذي يتوقع أن تفرضه عليه الكنيسة الرومانية. في هذا الوقت بالذات طرح لوثر مبدأ جديد وجوهريا. الكنيسة في منظوره ليست جسما مرئيا: إنها غير مرئية، هذه تتشكّل من كل أولئك الذين للإنجيل، وبالتالي فلا أحد يمكن أن منها ولا حرمانه أيضا. فكل مسيحي جزء منها مادام يملك العقيدة.

على الرغم من هذا التعنت، بقي البابا محتفظا بدم بارد ولم ينل منه الغضب شيئا. لقد أرسل مع بداية سنة 1519م، ألماني واسمه ملتتز Miltitz وهذا بهدف لقاء لوثر واقناعه بالعدول عن أفكاره. لكن مرّة أخرى يتكبّد هذا المبعوث البابوي الفشل الذريع، ذلك أنه وجد في لوثر رجلا عنيدا متمسكا بكل أفكاره ولم يكن يبغ عنها حول.

في شهر جويليا من نفس السنة، خاض لوثر نقاشا دينيا حادا مع أحد أشهر اللاهوتيين من مدينة إنجولستادت Ingolstadt واسمه حنا إيك Jean Eck. سميت بها "Dispute de Leipzig". وكان لوثر قد وجد صعوبة جمّة للحصول على إذن الذهاب إلى مدينة ليبزج، مدينة تابعة لدوقية سكسونيا، وهذا حتى يتمكّن من الدفاع عن أفكاره. كان لهذا النقاش الديني صدى كبير، وإن السبب الذي جعل الأمر يكتسي أهمية قصوى، أن إيك دفع بلوثر إلى أن يقول هذا الأخير بأن حنا هس Jean Hus قد تمت محاكمته ظلما. إن هس قد حوكم من طرف مجمع، بعد فترة شعر لوثير بأنه من أتباع هس، وبأن هذا الأخير سبقه في معرفة جوهر الإنجيل.

ولم يتردد هذا الثائر الألماني في القول أن هس يعدّ شهيدا متميّزا ويجب أن يتم تكريمه بصفة قديس Saint.

ملونشتن Melanchton وأولرش دوهوتن:

وخلال هذا الفترة التحق بلوثر ثلّة من الرجال اللامعين الذين يشكّل وقوفهم في صف لوثير إضافة ثمينة له. من بين هؤلاء شخص اسمه ملونشتن Melanchton، ويعد واحدا من الإنسانيين. اسمه الحقيقي شوارزرد S–chwarzerd بمعنى "التربة السوداء". أما عن وظيفته، فإنه مثل لوثير، أستاذا في جامعة وتنبرج wittenberg. ربطته علاقة صداقة متينة بالمصلح لوثير. طبعه أقل عنف من هذا الأخير، كان ذو تأثير قوي على لوثير، لم يظهر بينهما اختلافا في المجال العقائدي حتى قيل أن ملونشتن هو "لوثير الثاني".

في نفس الوقت تقريبا، التحق أولرش دوهوتن بلوثير ليتدعم صف هذا الأخير بأسماء ذات مكانة آنذاك. في الحقيقة، استهزأ أولرش في البداية بما كان يجري في

الساحة واعتبر الأمر مجرد "الرهبان". لكن مع مرور الوقت شاهد بأم عينه أصداء الحركة اللوثرية، ورأى في الثائر الألماني حليفا يعوّل عليه ضد الكنيسة الرومانية. وبدأ بذلك التقارب بين الرجلين، كذلك فعل صديق أولرش واسمه كروتوس روبيانوس Crotus Rubianus، حيث أن هذا الأخير استطاع أن يكسب ود وصداقة لوثير والإثنين، أولرش وكروتوس، أخذا يغذيان عداء لوثير لروما.

أما فرانز دو سكنجن Franz Sickingen فإنه التحق بمارتن لوثر وهذا بمساعدة أولرش الذي توسط له. ينتمي فرانز إلى ما يمكن تسميتهم فرسان. عرف عن هؤلاء أنه في حال انعدام وسائل العيش على أراضيهم، يفرضون الضرائب على التجار الذين يمرّون بالقرب من قصورهم. تعرّض فرانز بسبب أعماله المشينة للعقاب، لكن سرعان ما حصل على العفو، لكنه لم يقلع على سلوكاته السيئة.

كان فرانز يدعو إلى إدخال إصلاح جذري على الكنيسة، ولم يحرّكه في ذلك الوازع الديني، لكنه رأى في الأمر وسيلة ناجعة لمصادرة أملاك الكنيسة، وهي فرصة للاستيلاء عليها.

القطيعة مع روما:

بلغت الحركة اللوثرية مرحلة النضج خلال سنة 1520م، في هذه السنة اكتست دعوة هذا الثائر الألماني وشاحا ثوريا استهدف روما بالدرجة الأولى.

نشر لوثير في نفس السنة بعنوان: "إلى الطبقة النبيلة المسيحية لبلاد ألمانيا، عن المسيحية" A la noblesse chrétienne du Pays d'Allemagne.

تميّز ما كتبه بأسلوب متشدّد وهجومي، تضمّن مسائل مختلفة، منها بالخصوص أفكار معادية للبابا، إضافة إلى ذلك أورد لوثر مبادئ جذرية تمس الإصلاح الكنسي وكذلك الاجتماعي على حد سواء.

في الجانب الديني، ذكر لوثر فكرة تعدّ جديدة وإن كان قد نقل جزء منها عن هس. ذكر هذا الألماني أنه من غير الضروري أن يحصل الشخص على ليصبح أسقفا أو بابا، يكفي أن يكون الشخص قد تلقى التعميد، كل المسيحيين قساوسة، الكل قادر على معرفة ما تتضمنه على المستوى الاجتماعي، يجب القضاء على القرض بالفائدة، "استخدام شيطاني" حسبه، يجب "أن يوضع للفوجر Fugger والشركات الأخرى في الفم"، ومن هذا المنطلق، ظهر لوثر بثوب المصلح الاجتماعي، وهو أمر جديد حقا. وممّا لا شك فيه أن هذا التوّجه الاجتماعي الذي تبناه لوثر، مرّده إلى التأثير الذي مارسه أصدقاءه عليه وبالخصوص هوتن وشكنجن. وقد أقنعه هؤلاء بأن نجاح حركته لن يتأت بدون دعم الطبقات الدنيا في المجتمع، لهذا السبب أعلن الحرب على مستغليها من اليهود، أصحاب الرب والمصرفيين أيضا.

كتابات لوثير: النجاح:

حصد كتاب لوثير في فترة قصيرة نجاحا باهرا، ففي ظرف ستة أيام تم بيع أربعة آلاف نسخة منه، حدث غير مسبوق. لكن فرحة لوثير سرعان ما انقلبت إلى مأساة، ذلك أن روما كانت له بالمرصاد. ففي اليوم الخامس عشر من شهر جوان سنة 1520م، وقع البابا ليون العاشر على مرسوم يعلن فيه بأن واحد وأربعين مقترحا تم ذكرها في كتابات لوثير تعد هرطقية و، كما أنه أمر بحرقها. هذا الاتهام الشديد والخطير يعد في الواقع نتيجة للمجهودات التي بذلها حنا إيك، اللاهوتي من مدينة ليبزج، الذي تنقل إلّى روما

لهذا الغرض. وكان قد عيّن بصفته واحد من الأعضاء الذين شكّلوا اللجنة التي كلّفت بالنظر في أفكار لوثير.

أعطى البابا لهذا الأخير مهلة مدّتها ستين يوما، التي أعقبت صدور المرسوم، من أجل. لكن لوثير تمسك أكثر من وقت مضى بأفكاره ورفض الإنصياغ لأوامر البابا، إنها القطيعة مع روما. في شهر جوان من نفس السنة أرسل هذا الألماني الثائر رسالة لصديق له جاء فيها: "غضب الرومان كما ولا أرغب إطلاقا أن يكون لي و معهم إلى الأبد. من الآن فصاعدا، لن أخشى أي شيء".

حينما وصل المرسوم البابوي إلى وتنبرج، عوضا من حرق كتابات لوثير كما أمر البابا، فإن المرسوم البابوي من التهمته ألسنة النيران. في حفل رسمي عند أبواب المدينة، رمى لوثير الوثيقة في النار.

لم يكتف لوثير في تحديه للبابا بهذا الحد، بل إنه صرّح في اليوم الموالي بأن "حرق المرسوم لم يكن اي شيء، إن ما يجب فعله هو حرق البابا نفسه".

مذهب لوثير: أولوية الإنجيل على كل سلطة أخرى:

لم تكن المطاردة التي أعلنتها البابوية ضد لوثير لتثني هذا الأخير على المضي قدما لتحقيق أهدافه الإصلاحية، بل إن ذلك زاده إصرارا وحماسا منقطعي النظير. في نفس سنة 1520م، أصدر لوثير ثلاث أخرى تناول خلالها عن أولوية الكنيسة الرومانية، الأسر البابلي للكنيسة وحرية الفرد المسيحي. وقد نشرت هذه الكتابات باللّغتين الألمانية واللاتينية. إنه توّجه بخطابه لمختلف الشرائح في ألمانيا، وليس فقط اللاهوتيين والنخبة المثقفة.

نادى لوثير بأن الإنجيل يحتل أعلى مرتبة عن كل سلطة أخرى، ويندد باحتكار الكنيسة الرومانية وحدها لحق تفسير. إنها مسألة كل مؤمن، كما ردّد مرارا. لم يطلب إلغاء البابوية، لكن ما كان يرغب فيه هو التقليص من صلاحياتها.

ومما جاء في كتاباته أيضا أن البابا كغيره يمكن أن يخضع للمحاكمة، ولا يجب أن يحتكر لوحده الحق في استدعاء مجمع ديني. يجب إلغاء كل أنواع الفوائد من طرف روما. إنه استحداث "جرمانيا" الذي يكون زعيما حقيقيا للكنيسة الوطنية، الذي يعمل للقضاء على كل تدخل لروما في شؤون ألمانيا. إنها أفكار لقت صدى واسعا وترحابا كبيرا من الرأي العام الذي كان معاديا لروما وبكل شدّة.

لم يتوقف لوثير عند هذا الحد، بل إنه دعا إلى ضرورة حل أنظمة المتسوّلين. ليس لأنها تابعة مباشرة لروما، ولكن لأن أبرزها وهو نظام الدومنيكان Dominicains، هو عدو كبير للإنسانيين، ومدافع شرس على علم المدرسة Scolastique.

دعا لوثير إلى إلغاء حركة الحج، وصكوك الغفران، حرية الصوم وكذلك طالب بضرورة السماح للقساوسة بالزواج.

الحرمان الكنسي:

وصلت مهلة الستين يوما التي منحها البابا للوثير حتى يحيد عن أفكاره إلى نهايتها دون خضوع الثائر الألماني، لهذا قام البابا ليون العاشر في الثالث جانفي سنة 1521م، بنشر مرسوم رشق من خلاله لوثير بالحرمان الكنسي.

في هذه الأثناء، كانت مدينة وورمس Worms تشهد فعاليات أشغال ديات Diate كان قد دعا إليها شارل الخامس Charles-Quint وهي الأولى منذ توليه العرش سنة 1519م.

كان من الطبيعي أن تثار أثناء اللّقاء المسالة اللوثرية التي طبعت المشهد الديني آنذاك. وقد عرف عن الإمبراطور تمسكه الشديد بالمذهب الكاثوليكي للبابا وهو الأمر الذي لم يكن في مصلحة لوثير.

ومن الأهمية معرفة حيثيات موقف شارل الخامس من لوثر قبل انعقاد هذا اللّقاء الهام.

خلال سنة 1520م، عندما كان شارل الخامس لا يزال في الأراضي المنخفضة، ولم يزر ألمانيا بعد، استقبل في مقرّه هناك، المندوب البابوي واسمه جيروم أليوندر Jérôme Aléandre، الذي التقى بشارل ليحدّثه حصيصا عن لوثر. لقد سعى البابا من خلال موفده أن يجس نبض الإمبراطور ليعرف منه إن لم ير مانعا من نشر مرسومه البابوي، الذي أعلن فيه سابقا بأن لوثر هرطقي ودعا إلى ضرورة حرق كتبه، في أرجاء الإمبراطورية.

يعد أليوندر من الإنسانيين الكبار في ذلك الوقت، يتمتع بعقل دون آراء مسبقة ومؤهلات جعلته ينجح في مهمته بكل جدارة واقتدار. إنه لم يجد صعوبة في اقناع شارل بضرورة سد الطريق أمام المزيد من انتشار الأفكار اللوثرية. في هذا السياق، تكّفل شارل بضرورة بنفسه بمهمة نشر المرسوم في الأراضي المنخفضة. لكن الملاحظ أن الوضع تباين من موقع لآخر من الإمبراطورية، ذلك أن أمراء الأقاليم كانوا يبدون الموافقة أو الامتناع عن نشر المرسوم البابوي حسبما يخدم مصالحهم.

ولم يكن نشر المرسوم الطلب الوحيد الذي تقدّم به البابا للإمبراطور، بل إنه دعا شارل بأن يضع لوثر الإمبراطورية. وهو الإجراء الذي يصدره ديات وحده، ليس هذا فحسب، بل ورشق لوثير بالحرمان الكنسي أيضا.

حضر شارل أشغال ديات وكان برفقته المندوب البابوي أليوندر. وعندما أثيرت هذه المسألة الدينية، أخذ هذا الأخير الكلمة، وبما أنه كان يتحدّث في جمعية الحاضرين فيها هم ممثلون عن الأرستقراطية الأميرية وبورجوازية المدن، فإن المندوب ركزّ بشكل جلّي على الأخطار السياسية والاجتماعية الناتجة عن المبادئ التي كان يدعو إليها لوثر. وأنهى أليوندر حديثه بالدعوة لتطبيق عقوبة. والملاحظ أن الإمبراطور شارل كان قد حضّر مرسوما في هذا الاتجاه. أثار عرض المندوب البابوي نقاشا حادّا للغاية بين الأمراء الحاضرين. لقد بلغ الحد بناخب ساكسونيا وهو في نفس الوقت أحد حماة لوثر إلى درجة التشاجر الجسدي. وخلال سبعة أيام من التجاذب الحاد، اتفق الجميع بأن يطلبوا من الإمبراطور التريث في اتخاذ قراره، خشية من اشعال النار في ألمانيا، فيجيب في البداية أن يمثّل لوثر أمام ديت وورمس، وهو الطلب الذي لقي ترحابا من شارل.

قام هذا الأخير بمراسلة لوثر من أجل دعوته حضور فعاليات ديت وورمس لتقديم شروحات وتوضيحات عن مذهبه وكتاباته، ووعده شارل بأن يمنحه جوزا مرورا وحرسا لحمايته. لقد كان الإمبراطور عند وعده بأن وقع بنفسه على جواز سفره.

Bibliographie

1-Segesvary (Victor) : l'Isalm et la réforme. Etude sur l'attitude des réformateurs Zurichois envers l'Islam (1510-1550), Lausanne, ed., l'âge d'homme, 1978.

2-Delumean (Jean), Naissance et affirmation de la réforme, Paris, Ruf, 1973.

3-Zeller (Gaston), la réforme, SEDES, Paris, 1973.

4-Tuchle (Hermann), Réforme et contre-réforme, Seuil, Paris, 1968.

5-MŒller (Bernd), Villes l'Empire et réformation, Trad. De l'Allemand par Albert Chenou, Droz, Genève, 1966.

6-Powicke (Maurice), the réformation in England, London, New York, Toronto, Oxford University Press, 1967.

7-Bibliographie de la réforme, 1450-1648, leiden, E.J. Brill, 1958.

Renaissance

8-Delumeau (Jean), la civilisation de la renaissance, Arthaud, Paris, 1967.

9- Ferrara (Orestes), le XVIe siècle, vu par les ambassadeurs vènitiens, traduit de l'espagnol par Francis de Miomandre, A.Michel, Paris, 1954.

10- Funck- Brentano (Frantz), la renaissance, Fayard, Paris, 1958.

11- Garin (Engenio), la renaissance. Histoire d'une révolution culturelle. Des presses de Gérard et Cie, Verviers (Belgique), 1970.

12- Gobineau (Arthur de) : la renaissance : scènes historique. Garnier Flammaision, Paris, 1980.

13- Waley (Daniel), later medieval Europe. From Saint Louis to luther, Long Mans, London, 1964.

14- Pivenne (Henri) et autres, la fin du Moyen Age. 1- la désagrégation du monde médiéval (1285-1453), 2- l'annonce des temps nouveaux (1453-1492), Alcan, Paris, S.D.

15- Normdmann (Claude), la montée de la puissance européenne, P.U.F., Paris, 1974.

16- Hay (Denys), l'Europe aux XIV et XVe siècles. Trad. De l'Anglais par François et Georges Ruhlmann, et Jean Tamagnan, éd. Sirey, Paris, 1972.

17- Haydn (Hiram), the Counter- renaissance. New york, ch. Scribner's sons, 1950.

18- Payen (Charles Jean), les Origines de la renaissance. Société d'édition d'enseignement supérieur, 1969.

19- Chastel (André), Klein (Robert), l'Europe de la renaissance, l'âge de l'humanisme, les éditions des deux mondes, Paris, 1963.

20- Chastel (André), le Mythe de la renaissance, 1420-1520. Edition d'Art A. Skira, Genève, 1969.

21- Denieul- Cormier (Anne), la France de la renaissance, 1488-1559, Arnaud, Paris, 1962.

22- Mousnier (Roland), la renaissance en Italie au XVIe Siècle. Société et civilisation, centre de documentation universitaire, Paris, 1957.

23- Lepszy (Kazimierz), la renaissance en Pologne et ses liaisons internationales, Warszauva, 1962.

24- Chastel (André), la crise de la renaissance. 1520-1600. Ed., d'art Albert Skira, Genève, 1968.

25- Alazard (Jean), la Venise de la renaissance, Hachette, Paris, 1956.

26- Ferguson (W.K.), la renaissance dans la pensée historique. Traduction de Jacques Marty, Payot, Paris, 1950.

27- Funck- Brentano (Frantz), la renaissance, Arthème Fayard et c^ie éditeurs, Paris, 1935.

28- Lepszy (Kazimierz), la renaissance en Pologne et ses liaisons internationales, Warszawa S/D.

29- Delumeau (Jean), la civilisation de la renaissance, B. Arthaud, Paris, 1967.

30- Naissance et affirmation de la réforme, P.U.F., Paris, 1973.

31- Nordstrom (Johan), Moyen- Age et renaissance. Essai historique. Traduit de suédois par Hummar (T.), librairie Stock, Paris, 1933.

32- Hay (Denys), l'Europe aux XIVe et XVe siècles, traduit de l'Anglais par François et Georges Ruhlmann et Jean Tamagnan, édition Sirey, 1972.

33- Chaunu, (Pierre), la civilisation de l'Europe classique, Arthaud, Paris, 1966.

34- Le temps des réformes. La crise de la chrétienté, l'éclatement, Fayard, Paris, 1975.

35- L'histoire économique et sociale de la France (1450-1650), P.U.F., Paris, 1977.

36- Zeller (G.), la réforme, société d'éditions d'enseignement supérieur, Paris, 1973.

37- Saulnier (Verdun, L.), la littérature française de la renaissance (1500-1610), P.U.F., Paris, 1942.

38- Margolin (Jean- Claude), l'avènement des temps modernes, 1er édition, P.U.F., Paris, 1977.

39- The Oxford dictionary of the Christian church, Londres et New York, 1957.

40- Allier (R.), Anthologie protestante Française (XVIIe, XVIIIe et XIXe siècles, 2 Vol., Paris, 1920.